توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعـد ،،،

فعلى امتداد شهور ، كنت أتلقى رسائل التأنيب والعتاب ، لقاء ما أكتبه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب!

ولأن بعض المعاتبين المحبين يعرفني لسنوات ، فقد كانوا يطالبونني بمراجعة ما أكتبه على كبار علماء الأمة كالشيخ يوسف القرضاوي أو غيره ، ولسان حالهم قبل مقالهم يزخر بالامتعاض مما أكتب والارتياب فيه ، ويكأنهم يقولون لي :

مادام الرجل بهذا السوء الذي تشي به مقالاتك ، فلماذا سكت عنه الكبار؟ والصَّغارُ لايأتي سوى من الصِّغار! أم إنك تزعمُ ياحسام أنك قد وقعت على عجل سمين! فانكشف لك ماخفي عليهم ، واتضح لك ماووري من سوءته عنهم؟

فكنتُ أعتذرُ لهم عنهم قائلاً: لعلَّ أوقاتهم تضنّ عليهم بمثل هذا .. ! أو لعلَّ مافي كُتبِهِ لايصلُ إليهم ولايتَنَاهَى إلى أسماعهم ، ولو عرفوه لأنكروه!

أو ، ربما هي الحساباتُ السياسية المتعلقة بالدولةِ التي وضعَ الرجلُ لبنتها الأولى مع شريكه (الإمام!) الآخَر ، وآخِرُ مايريده أولئك الكبار ، مناصبتها العداء.

ثم أخيراً وليس آخراً ، لعلها التوازنات المتعلقة بجمهور عريض من المتدينين (التيارات السلفية ، عامتهم ومشايخهم) ممن لايرغب هؤلاء في شحنه و إغضابه إن هم ذموا الرجل الذي توارثت أجيالهم توقيره إلى حد وصفه بشيخ الإسلام!

كنتُ أقولُ لهم: (أي: أصدقائي المشفقين) لقد عشتُ لسنواتٍ أصفُ الشيخَ مثلَكم بالإمام و بالمجدد ، تقليداً لا تحقيقاً ، وسماعاً عنه لا منه.

لاسيما أني كنت قد قرأتُ بعض ماكتبه ككتاب التوحيد وشرحه (فتح المجيد) ولستُ أذكرُ أني قد وقفتُ عندها على شئ يُشين الشيخ ، أو يخالف الكتاب والسنة والإجماع.

ثم مكثتُ على هذا الحال لسنوات خلت ، أبرِّئُه مما يرميه به الخصوم من الشيعة والأحباش ويشنعونه عليه (هذا ماكنتُ أخالُه) –تقليداً لا تحقيقاً كما أسلفت–

ولعلَّ خصومة هؤلاء له ، كانت هي المانع الذي حال بيني وبين رؤية الحقيقة على وجهها الذي أصبحت أراه الآن!

لأننا تربينا في عالمنا العربي على إشكالية القيم المطلقة (Absolute values) فمادام السهم يأتي من الجهة المقابلة ، فهو لاشك مسموم!! وخروجُ الاتهام من ناحية الخصوم ، يكفي لبراءة المتهم وبياض صحائفه في العموم.

بل كنتُ أعتذرُ به عنه قائلاً لنفسي: وأما ذلك الغلو والتعصب الذي يتسم به أتباعه من التصنيفيين الذين أعملوا المباضع في كل أحدٍ فلم يسلم منهم أحد ، وهم يشنون الغارة تلو الغارة ، على المتقدمين تارة وعلى المعاصرين تارة.

فلا يُسأَلُ الرجلُ عنه ، وهل يسأل صاحب (الدعوة الإصلاحية!!) عمَّا أصابَ دعوته من شطط بعد وفاته بنحو قرنين من الزمن؟؟

حتى جاءت اللحظة الحاسمة التي سمعتُ فيها أحد من أثق فيهم من الخطباء وهو يقرر قراءته لكل كتب الشيخ ، فوجدها تفيض بالتكفير والخارجية ، مما كنت أقرأه ولا أستوحشه ذلك الاستيحاش!

وأنا أعلمُ أن البعضَ يرى في ذلك الخطيب المفوه شيطاناً رجيماً ، بل ربما حالَ مجردُ ذكر اسمه بينهم وبين قبول الحقيقة بأكثر مما كان يقع لي آنفاً في حال الشيعة والأحباش!

ولكني أدعوهم أن يفعلوا ما فعلت ، لا أكثر !

أن يقرءوا بأنفسهم ، وأن يقفوا على الحقيقة بأنفسهم ، وأن يتحققوا من كل ما سوف أذكره من وقائع وحقائق من كتبه وكتب أتباعه بأنفسهم.

و ألا يجعلوا من الهالة الكبيرة التي أحيط بها فلان ، أو التهمة الشنيعة التي رمي بها علان ، جداراً سميكاً يحول بينهم وبين الرغبة في سبر أغوار الحقيقة في رحلة البحث عنها .

فربما كانت تلك الحقيقة ، ضرورة حتمية وملحَّةً في فهم وتفسير بعض أسباب الحالة الحالكة التي عاشتها الأمة زهاء قرنين من الزمان ، وحتى الآن !!

واللهَ أسأل: أن يهدينا لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنه ، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حسام الدين عوض

القاهرة – مصر

أول أيام عيد الفطر المبارك – 1438 هـ الموافق 25 يونيو 2017 م

الباب الأول .. تمهيد .. بذرة الاستبداد الديني التي بذرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لن أتحدث عن التعصب والغلواء الذي ورثته التيارات السلفية بشقيها (العلمي–الجهادي) من الشيخ محمد عبد الوهاب .. حيث أعملوا مبضع الجراح في مخالفيهم فانتشرت البغضاء وسادت الكراهية بين أبناء الأمة الواحدة..

فمادام هناك من يخالفهم (ولو في مسألة فرعية لا أصولية) .. فإما أن يكون ضالاً مضلاً .. أو فاسداً مفسداً .. كما اعتاد أكثرهم وصف المخالف .. ولأن كتاباتهم وشرائطهم وحواراتهم طافحة بمثل هذا فإنني أضرب الذكر صفحاً عن العزو إلى المصادر

فهذا زنديق .. وذلك مبتدع .. وسواهما قبوري محترق .. التحذير من فلان .. ذم ضلالات فلان ..

ولايتوقف الأمر عند المعاصرين .. بل نال الأقدمون أيضاً حظهم ونصيبهم الوافر من الحط والتنقيص .. فيما خلعوا ثوب العصمة على الإمام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وكأنه ليس في تاريخ أعلام المسلمين سواهما!..

فإمام أهل السنة الأعظم أبي حنيفة النعمان فيه إرجاء ..! وحجة الإسلام الغزالي فيه تصوف وانحراف ..! وأمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني شارح صحيح الإمام البخاري فيه تشيع ..! والإمام النووي شارح صحيح الإمام مسلم عنده خلل في العقيدة ..! وهكذا..

حتى إذا فرغوا من أولئك وهؤلاء ولم يجدوا أحداً يحاربوه .. حاربوا أنفسهم! وانقسموا على أنفسهم..

فهذا سروري ، وذلك مدخلي جامي ، وهؤلاء قطبيون خوارج .. وأولئك مرجئة في باب الإيمان .. إلى آخره وليس لتلك الانقسامات الفيروسية من آخر بفضل بدعة التصنيف وهوس الإدانة

ولن أتحدث عن نبذ الاجتهاد ومصادرة حرية التفكير وحق تداول المعلومات ، ليتم الاستغناء عن ذلك كله بالتقليد والجمود الفكري والفقهي ورمي كل داعية إلى التجديد بالابتداع في الدين !!

مما أفضى إلى:

-تحقير المرأة

-شيوع القولبة برسم صورة وحيدة للمسلم بحيث يعسر معها أن يفارقها أو أن يخرج عنها

-الإسراف في استخدام كلمة "الحرام" حتى فقد الحرام هيبته وقيمته في نفوس كثير من العوام

-الاضطراب في مفاهيم الحرام نفسها ، فقد ظلوا لسنواتٍ يلقون في روع العوام حرمة التصوير الفوتوغرافي ثم هم يقفون أمام الكاميرات! وحرمة الدش ثم هم ضيوف الفضائيات! وحرمة ارتداء الملابس الإفرنجية كرابطة العنق ونحوها ، ثم هم لايشمئزون منها! والأيام حبلى لاندري ما تضع!

ولن أتحدث عن حصر الإسلام في مقاومة البدع والشركيات ، وإلهاء الناس عن قضاياهم الكبرى ومطالبهم الملحة كالحرية والشفافية وسوء توزيع الثروة والعدالة والمساواة أمام القانون ..

ليتم الإلحاح على قضايا فرعية تضخمت لتأخذ وزناً أكبر بكثير جداً من وزنها النسبي في الدين كحلق اللحية وإسبال الثوب وكشف وجه المرأة والتصوير الفوتوغرافي والاستماع للمعازف ومشاهدة التلفاز .. الخ الخ

حتى لم تعد القضايا المصيرية الكبرى التي تتعلق بها كليات الشريعة مما يعنى به الناس .. كأكل أموال الناس ، ونهب المال العام ، والرشوة والربا والفساد المالي والإداري ونحوه ، وهو مالاتجبّه التوبة ولايغفره الله حتى يعفو عنه أصحاب الحقوق

ولن أتحدث عن الخيارات الفقهية الغليظة والمواقف المتشددة من الفنون والآداب وسائر ضروب وأصناف اللهو المُباح ، حيث أذكر في هذا المقام تحريم حبّ لاعب كرة أو الميل الطبعي لفنانٍ مشهور نظراً لسوء تأويل قول الرسول الكريم: يحشر مع من أحب! والذي جاء في باب الوعد وليس الوعيد

إلى آخر صنوف الأحكام السلطوية الناشئة عن سوء الصنعة الفقهية والتي تسببت في جعل الدين أمراً بعيد المنال ، فأعرض عنه الشباب! وتمسّكَ به منهم الغلظاءُ والمنفرونَ والمتجهّمون !

بل ولن أتحدث حتى عن الميراث العقائدي في باب أسماء الله وصفاته .. والذي وصفة الإمام الذهبي بالمبالغة في الإثبات ، فتم إحياء التصورات الباطلة والعقائد الواهية كعقيدة الشاب الأمرد وعقيدة استقرار الله على ظهر البعوضة وعقيدة فناء النار وعقيدة امتناع وجود ذات لاتشبه المخلوقات بوجه من الوجوه

ونحوها من التصورات التي ذمها الإمام أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي ووصف أصحابها في كتابه الماتع النافع (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) بأنهم شانوا بها مذهب الإمام أحمد

وأخيراً وليس آخراً..

لن أتحدث عن التصورات الفكرية والمنهجية المتعلقة بالآخر! وخصوصاً في باب القتل والقتال وعداوة الكفار ومفاهيم الولاء والبراء وسبي الذراري والنساء .. وحل دم الكافر وماله وعرضه .. فقد أصبحت المواقع الوهابية مرجعاً بما تزخر به من تكريس الكراهية لكل من أراد أن يطعن في الإسلام نفسه!!

فليس عليه أكثر من أن يدخل إلى تلك المواقع ليجلب منها عشرات الفتاوى والأحكام المنسوبة لدين الله والتي تحض على الكراهية .. وتكرس العداوة وكأننا في حرب مقدسة مع الأمم الأخرى بحيث نتربص بهم الدوائر للإغارة عليهم بدلاً من أن نعرفهم بالإسلام وندعوهم لرحابه ..
فأصبحنا بلسان الحال والمقال .. قضاة لا دعاة!!

ناهيك عن أننا إذا وضعنا في الاعتبار أننا من أضعف الأمم عسكرياً ، وأن تلك البلاد التي ندعو لعداوتها بدلاً من التواصل الإنساني والتعاطي الإيجابي معها تستطيع بما تملكه من ترسانة نووية فتاكة أن تمحو دولنا كلها من على خريطة الدنيا..

ومن أمثلة ذلك:

- رسالة في وجوب عداوة اليهود والمشركين وغيرهم من الكفار – الموقع الرسمي للشيخ ابن باز

– وكذلك أيضاً نستبيح نساء الكفار وذرياتهم يكونون سبياً لنا ويكونون أرقاء للمسلمين – الشيخ محمد بن صالح العثيمين

– حرام ان يتجنس المسلم بجنسية الكفار لأن المسلم يتبرأ من الكفار – الشيخ صالح بن فوزان عضو هيئة كبار العلماء

– لن تنعم امريكا ولا من يعيشون في امريكا بالأمن حتي نعيشه واقعا في فلسطين – أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة

– اللهم أهلك اليهود والنصارى والأميريكان والفرنسيين والإنجليز ومن شايعهم – الشيخ محمد المحيسني من الحرم المكي

– يجوز الدعاء على مطلق الكفار سواء كانوا مقاتلين أو غير مقاتلين ، ويدخل فيهم اليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة – مركز الفتوى بموقع إسلام ويب

لن أتحدث عن هذا كله .. لأن الكلام تحته يطول جداً وقد يأخذنا إلى الإغراق في عشرات التفريعات .. ثم في تفريعات التفريعات

ولأن المعارض قد يلزمني –ومعه كل الحق– بأمرين:

الأول: إلزامي بذكر حسنات الشيخ في مقابل سيئاته ، ولاشك أن له حسنات أذكر منها موقفه الحاسم من البدع والخرافات والشطحات .. وياليته وقف عند هذا الحد .. ولم يتجاوزه إلى التكفير وحمل السيف في وجه الخصوم!

والثاني: نهيي عن تتبعه من خلال أخطاء تلامذته تأسيساً على القاعدة القرآنية المحكمة: "وألا تزر وازرة وزر أخرى" .. فإنما يحاسب الإنسان على فعله وقوله ولا يجر بجريرة غيره

ولهذا..

فسوف أدلف مباشرة إلى الحديث في أصل الأصول ومعراج الوصول .. الإسلام في مقابل الكفر .. والتوحيد في مقابل الشرك .. كما رآه الشيخ وفهمه .. ومن كتبه هو لا من كتب غيره!

فأقول وبكل ثقة..

إن فتنة التكفير والعنف التي تجتاح مجتمعاتنا الآن .. إنما بذر الشيخ محمد بن عبد الوهاب – بذرتها بكل أسف– .. ليتم تصدير أفكاره التكفيرية الصريحة مع براميل البترول من نجد إلى شتى أرجاء العالم الإسلامي .. حتى كانت الثمرة الأخيرة .. داعش وأخواتها !!

فالأدلة في التكفير هي أدلته أو هي هي .. وطرق الاستدلال هي طرقه أو هي هي .. ودعوى احتكار الحق الذي ليس بعده إلا الضلال هي عين دعواه أو هي هي .. ولولا هذا لما أوليته كثيراً من الإمعان و الاهتمام .. فقد أفضى إلى ماقدم وحسابه على رب الأنام

أقول التكفير ولا أقول بيان الكفر ..

فقد كنت أذهل سابقاً حين كنت أقرأ كتاباته .. لأني قرأتها قراءة عابرة لا قراءة نقدية .. ولم أكن أستوحش مافيها ذلك الاستيحاش .. فغاية ماكنت أظنه أنه يتوسع في تعريف الكفر حتى يدخل فيه ماليس منه

فلما ربطت الأحداث ببعضها والكتب بتسلسلها التاريخي ، ثم حين توسعت في الاطلاع على مافيها وقرأتها بعين الناقد .. شاب شعر رأسي لهول ما عرفت !!

فقد تحققت من أنه يكفّر المسلمين تكفيراً صريحاً .. فلايتكلم في كفر الأنواع أو الأجناس فحسب .. لكنه يكفّر الأعيان (الأشخاص بعينهم)!!

نعم ..

قد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يكفّر الأعيان تكفيراً لا لبس فيه ولا غموض ، وكتاباته طافحة بتكفير عموم المسلمين كما سأذكر ذلك من مراجعه المعزوة إليه..

قال المعارض: تلك فرية بلا مرية .. فالشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر في كتبه أنه لايكفرّ الأعيان إلا بإقامة الحجة الرسالية القاطعة .. وبتحقق شروط التكفير وانتفاء موانعه

قلتُ: بل لم يكتف الشيخ بتكفير الأعيان .. وإنما حمل السيف ليقاتل عموم المسلمين (يصفهم في كتبه بالمشركين) .. ويصف اعتداءه علىهم بـ (الغزوات) .. وسلب أموالهم بـ (الغنائم)!

قال المعارض: قد كان الشيخ يقيم الحجة عليهم .. ويبلغهم العلم الذي أخذ الله على أهله الميثاق في تبيانه للناس ولايكتمونه!

قلت: لم يكتف الشيخ بالدعوة وبالبلاغ عن النبي فيما فهمه وعلمه (والصواب: توهمه) .. بل كان يخال نفسه نبياً مرسلاً من السماء بسلطان الله الذي ما أتاه ..

فطفق يراسل قبائل شبه الجزيرة العربية (تماماً كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث بالرسائل إلى الملوك والسلاطين)

يدعوهم (أي محمد بن عبد الوهاب) لأفكاره المتعلقة بالشرك وبالإيمان ..ويطالبهم بللدخول في سلطانه وسلطان شريكه محمد بن سعود وولده عبد العزيز .. فإن أبوا .. حمل السلاح لقتالهم حتى يكون الدين كله لله(!!!)

قال المعارض: أنت تربط حمل السلاح بالتكفير .. والشيخ كان يكفر في أمور مكفرة .. وإنما حمل السلاح على البعض وإن لم يكفرهم

قلت: الحق أنه مضطرب غاية الاضطراب في باب التكفير والقتال على النحو التالي :

1. فتارة يقرر أنه لايكفر المسلمين إلا بعد قيام الحجة عليهم (والحجة هنا هي حجته هو .. وليست الحجة الرسالية القاطعة التي من جحدها صار بجحدها كافراً) كما سأبينها في جزء لاحق من هذا البحث
2. وتارة يقرر أنه لايكفرهم ولكنه يقاتلهم بغير تكفير .. كتصريحه بالتوقف في تكفير تارك الصلاة تكاسلاً لكنه يقاتله عليها (لعله يقيس ذلك على قتال أبي بكر –رضي الله عنه– لمانعي الزكاة!!..)

وهنا لابد من وقفة هامة ..

فبأي سلطان قاتل الناس؟؟ فلو قاس قتاله لهم على قتال أبي بكر –رضي الله عنه– لمانعي الزكاة لكن ذلك من أبطل الأقيسة وأفسدها من وجوه..

فأما الأول: فلأن أبا بكر لم يقاتل على جحد الفريضة بل على منعه الزكاة .. فكأنما المانعون فئة متمردة على سلطان الدولة المركزية .. راغبون في تفتيتها فلزم قتالهم حفظاً لوحدة الدولة وصيانة لسلطانها على الناس..

وأما الثاني: فلأن جحد الفريضة كفرٌ لأنه إنكار لمعلوم من الدين بالاضطرار .. والشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر أنه لا يقاتلهم على الجحد وإنما على الترك !!! فبأي سلطان إذن ؟؟

وأما الثالث: فلأن أبا بكر –رضي الله عنه– كان خليفة المسلمين الذي انعقدت له الإمارة الشرعية ، فقاتلهم بسلطان الإمارة على اعتبار أنهم فئة متمردة ترفض الانصياع للأمير (الطائفة الممتنعة في اصطلاح الأصوليين)

فهل كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يظن نفسه أميراً ؟؟ فمن ذا الذي منحه الإمارة أو بايعه عليها ومانطاق تلك الإمارة وحدودها الجغرافية؟؟ أم أنه قد حازها لنفسه بنفسه رغماً عن جماهير الأمة؟؟

واما الرابع: فلأن أبا بكر –رضي الله عنه– قد حاز سلطان الدولة .. فهل سلطان الدعوة –إن كان للدعوة من سلطان!!– يمنح الداعية حق قتال من لايستجيب له؟؟ فهل تلك دعوة الأنبياء والعلماء أم دعوة المتسلطين والمستبدين والمستكبرين في الأرض بغير الحق؟

وأما الخامس: فلو جاز له أن يحمل السلاح ليقاتل من يعارضون أفكاره التي يعتقد أنها الإسلام لكان ذلك أكثر جوازاً في حق خصومه أيضاً .. بل ولجاز لكل طائفة من الغلاة أن تدعو الناس إلى مسألة ما وأن تحتج لها بدلائل الكتاب والسنة ، فإن أبى الناس .. انتفضت الطائفة لقتالهم!! ثم يتبجحون بالقول: ماقاتلناهم لأننا نكفرهم .. فبأي سلطان إذن ..؟؟ سلطان إقامة الحجة عليهم!! هكذا بكل تبسيط ورومانسية ساذجة!!

وأما السادس: فقد خاطب الله تعالى رسوله بآيات محكمة قاطعة في دلالتها لبيان مهمته الرسالية ، وفي أكثر من **15** موضعاً فقال: لست عليهم بمسيطر .. ليس عليك هداهم .. ما على الرسول

إلا البلاغ .. فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ (ولم يقل عليك القتال إن أعرضوا)!!

وأما السابع: فالرسول قد أقام الحجة الرسالية على من عارضه من المشركين ، وجاءهم بما فيه من البراهين القاطعة والأدلة الواضحة مالم ينكروه هم أنفسهم ولاينكره إلا جاحد متبع لهواه .. بل قرروا هم أنفسهم أن كلامه ليس من قول البشر ، وحين دعاهم على جبل الصفا ليشهدهم على أنفسهم أقروا بأنهم لم يعهدوا عليه كذباً قط .. فكيف يقاس ذلك على كل أحد في هذه الأمة؟؟ فهل هذه سوى الفوضى التي تريدها جماعات التكفير والاستبداد في عصرنا هذا وفي غيره!!

.3وتارات يكفر ويقاتل .. بغير سلطان .. و بغير حجة .. بل و بغير شئ أصلاً!!

فهو يرى نفسه المسلم الوحيد المخول من السماء بتعريف الناس بالإسلام!! ويرى غيره جهالاً بل كفاراً لايعرفون دين الله .. ويظهر هذا الخبط الشديد .. والخلط الشنيع في جملته التي يقول فيها بوضوح لالبس فيه ولاغموض:

(وأنا أخبركم عن نفسي .. والله الذي لا إله إلا هو ، لقد طلبت العلم ، واعتقد من عرفني أن لي معرفة ، وأنا ذلك الوقت ، لا أعرف معنى لا إله إلا الله ، ولا أعرف دين الإسلام ، قبل هذا الخير الذي من الله به ، وكذلك مشايخي ، ما منهم رجل عرف ذلك)

انتهى كلامه

((من كتاب الدرر السنية من الأجوبة النجدية – الجزء العاشر صفحة 51))

فهو ينفي عن نفسه وعن سائر المشايخ والعلماء الذين تربى هو نفسه على أيديهم (حيث نشأ في أسرة علمية متدينة) ينفي عن كل هؤلاء المعرفة بدين الإسلام!! بل ينفيها عن نفسه بنفسه ..!! اللهم سوى في لحظة معينة .. ضربه فيها زلزال التكفير كما سيأتي بيانه..

ثم يقول بعدها مباشرةً وفي نفس الكتاب:

(فمن زعم من علماء العارض (الرياض حالياً) أنه عرف معنى لا إله إلا الله ، أو عرف دين الإسلام قبل هذا الوقت (((اللحظة التي ضربه فيها هذا الزلزال العنيف))) أو زعم من مشايخه أن أحدا عرف ذلك ، فقد كذب وافترى ، ولبس على الناس ، ومدح نفسه بما ليس فيه)

انتهى كلامه (نفس المصدر)

قلت: لاأحد يعرف دين الإسلام سواه!! حتى مشايخه الذين علموه الدين وحفظ القرآن على أيديهم .. بل حتى هو نفسه قبل هذه اللحظة الدخيلة عليه !!

ففي هذه اللحظة .. وفيها فقط..

أصبح هو .. وهو فقط ..

المتحدث الرسمي باسم الإسلام .. والمخول بسلطان الله الذي انتزعه لنفسه بنفسه .. لتعريف الناس بدين الإسلام .. وليس في الكهنوت والاستبداد الديني أصرح ولا أوضح من هذا

وبهذا ينتهي الموضوع الأول ، وأنتقل بعده إلى الموضوع التالي له .. المقدمات التي أنشأ عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب طريقته في التفكير ومنهجيته في التكفير!!

الباب الثاني: المقدمات التي أنشأ عليها الشيخ طريقته في التفكير ومنهجيته في التكفير!

أنشأ الشيخ طريقته ومنهجيته على مجموعة من المقدمات التي أوصلته لتلك النتائج الكارثية كما في كتبه .. وبخاصة "كشف الشبهات"! فهو أكثر كتب الشيخ وضوحاً في شرح فكرته ، وبعداً عن الغموض والإيهام ، فإني أوجز هذه المقدمات فيما يلي:

1. فصل: قصوره في فهم معنى العبادة ، فوقع في التكفير حين وهم أن بعض مايصدر من جهال المسلمين أو من غلاة المتصوفين تجاه الأولياء والصالحين عبادات
2. فصل: اصطناعه صورة زاهية لمشركي مكة .. واختزال شركهم في اتخاذ الشفعاء والوسطاء حتى يدلف من خلال ذلك ويهيئ مريديه لتكفير خصومه من الصوفيين وعموم المسلمين ، الذين كان يصفهم بـ "مشركي زمانه!"
3. فصل: تصوره أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل مشركي مكة لعلة شركهم .. ليكون ذلك مسوغاً يسوغ له قتال مشركي زمانه! لذات العلة

فعلى هذه المقدمات الثلاث .. وقع الشيخ في الغلواء .. وفي تكفير المسلمين .. بل وفي قتالهم على النحو الذي سأبينه:

1. فصل: قصوره في فهم وتحرير معنى العبادة

العبادة لها أصل ثم مظاهر .. فاما أصلها فاليقين المستقر في القلب تجاه المعبود (الإيمان) ، ثم يأتي دور الجوارح لتؤكد على هذا اليقين فتنشأ (مظاهر) تلك العبادة ، وقد عرّفها العلماء المتقنون كالإمام القضاعي بأنها: الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع.

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد أوقف العبادة على بعض أعمال الجوارح وإن لم تنشأ عن اعتقاد ، فظنّ أن الوسطاء معبودات! وأن الشفعاء معبودات! وأن الطواغيت معبودات! مادام الإنسان يتوجه إليهم بالخضوع والتذلل وطلب الحاجات!

وهي خطيئة منهجية فاحشة!

فبها استحلت الدماء ، وانتهكت الأعراض ، وانقسمت الأمة انقساماً كبيراً بسبب ما أحدثه الشيخ وماوقع فيه من مزالق.

أقول: مالم يكن الخضوع والتذلل نابعاً عن اعتقاد مستقرٍ في القلب تجاه المتوجه إليه بأنه رب! (متصف بالصفات الكمالية "جميعها أو شئ منها") لم يكن شئ من ذلك عبادة.

وإلا فقد سجد الملائكة لسيدنا آدم عليه السلام ، وسجد إخوة يوسف وأبواه له ، والسجود من أظهر أفعال التذلل والخضوع ، لكنّ هذا السجود لم ينشأ عن اعتقاد ، فلم يكن سجود عبادة بل كان سجود تعظيم وتوقير وتكريم.

قال المعارض: أما سجود الملائكة لآدم ، وإخوة يوسف له ، فقد كان بأمر الله تعالى ولو لم يكن بأمر الله لكان عبادة!

قلت: هذا الاستدلال الركيك أدلَ على نقيض حجتكم من وجهين ..

أما الأول: فلو كان السجود المجردُ عبادةً كما ظننتم ، لكان لازم قولكم أن الله يأمر بعبادة غيره!! وهو ممتنع

وأما الثاني: فقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، فلو كان السجود المجرد عبادة ، لكان صرفه لغيره شركاً ، فكيف يأمر الله بالشرك الذي هو أكبر من كل فحش؟ بل هو أفحش الفحش.

قال المعارض: فهل تجيز السجود لغير الله طالما لم ينشأ ذلك السجود عن اعتقاد في المسجود له؟؟

قلت: هذا استنتاج فاسد ، فقد انعقد الإجماع على أن السجود –ولو تعظيماً– لغير الله تعالى كبيرةٌ من الكبائر ، فأما إذا كان ذلك السجود لصنم أو وثن أو مخلوق (((يُعبَدُ من دون الله))) ، كان ذلك كفراً ينقل من الملة.

قال المعارض: ولكنّ اللهَ تعالى يقول: "أرأيت من اتخذ إلهه هواه" فهذه الآية الكريمة تجعل اتخاذ الهوى معبوداً دون أن تتعلق عبادته باعتقاد اشتراكه مع الله في صفاته الكمالية أو في شئ منها كما تزعم!

قلت: هذا أدل على نقيض حجتك من وجهين ..

أما الأول: فالعبارة القرآنية مجازية أصلاً ، فكأن المراد: من أطاع هواه في معصية الله ، فأحلّ لنفسه أو لغيره الحرام ، أو حرّم الحلال.

وأما الثاني: فلو كانت العبادة اسماً جامعاً لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كما تعرِّفُونَها .

فلايكون الهوى معبوداً وفق هذا التعريف القاصر لأنه منعدم الإرادة أصلاً ، فلايحب أو يرضى! بل هو ينشأ عن إرادة الإنسان ، وإنشاء العابد إرادة معبوده ممتنع بمستند العقل والشرع معاً.

قال المعارض: قد كان كفار مكة يصنعون الأوثان من العجوة ، ثم إذا حل القحط أو ضربتهم المجاعة أكلوها! فهذا ليس إنشاءاً لإرادتها فقط ، بل إنشاؤها هي أنفسها

قلت: كان المشركون يرسمون اعتقاداتهم في أوثانهم كلٌ بريشة هواه !!

فبعضهم يظنها آلهة بذاتها وبعضهم يظنها أجساداً حلت فيها الآلهة ، لكنهم مجمعون على استقلالها بالإرادة المنفصلة عن إرادتهم ، وإن أنشأوا أجسادها! فجاء الإسلام ليصحح كل تلك التصورات الباطلة ويأتي بنيانها من القواعد.

<u>الخلاصة</u>: تعريف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه للعبادة تعريف قاصر بل مغرق في قصوره ، تنقصه الصنعة الفقهية ، ثم تنقضه الأدلة القطعية

فبعض الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها كإطعام الجائع ، وكسوة الفقير ، وإماطة الأذى ، إذا صرفت لغير الله لاتكون عبادة لغيره! بحيث يلزم منها الشرك

لاسيما أن المرء قد يطلب من الله شيئاً يقدر عليه الناس فيكون في طلبه الشئ من الله عابداً يدعوه ، وفي طلبه ذات الشئ من الناس سائلاً يسألهم

بل هو داخل في تعريف عبادة الله ، وخارجٌ بالقطع عن تعريف كل عبادة تحصل من عابد لمعبوده! وإلا فعابد البقرة يعبدها بالتبرك بروثها وهي لاتحب هذا ولاترضاه لنفسها! بل تشمئز منه ، فلاترضاه لمن اتخذها إلهاً من باب أولى لو كانت تنطق!

والتعريف الأدق للعبادة: أنها غاية التذلل والخضوع الذي ينشأُ عن اعتقادٍ بربوبية المتذلل له أو المخضوع له.

فمتى صرفت العبادةُ على هذا النحو لمخلوق ، كان ذلك شركاً ينقل من الملة ، وإلا .. فهو كبيرةٌ من الكبائرِ أو بدعةٌ من البدع والله أعلى وأعلم.

قال الشوكاني في السيل الجرار:

(اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار ... فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام ، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر. وأما قوله: "ومنها السجود لغير الله "

فلا بد من تقييده بأن يكون سجوده هذا قاصداً لربوبية من سجد له ، فإنه بهذا السجود قد أشرك بالله عز وجل وأثبت معه إلهاً آخر ، وأما إذا لم يقصد إلا مجرد التعظيم كما يقع كثيراً لمن دخل على ملوك الأعاجم أنه يقبل الأرض تعظيماً له، فليس هذا من الكفر في شيء ، وقد علم كل من كان من الأعلام أن التكفير بالإلزام من أعظم مزالق الأقدام فمن أراد المخاطرة بدينه فعلى نفسه جنى) انتهى كلامه

2. فصل: اصطناع الشيخ محمد بن عبد الوهاب صورة زاهية لمشركي مكة ، واختزال شركهم في اتخاذ الشفعاء والوسطاء حتى يدلف من خلال ذلك ويهيئ مريديه لتكفير خصومه من الصوفيين وعموم المسلمين ، الذين وصفهم بـ "مشركي زمانه!"

يعتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن المشركين الأوائل كمشركي مكة ومن سبقهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية (أفعال الرب) ، وإنما وصفوا بالشرك لأنهم أشركوا الله تعالى في أفعالهم هم (شرك الألوهية) أو (شرك العبادة)

وهي خطيئة منهجية فاحشة!!

فبها استحلت الدماء ، وانتهكت الأعراض ، وانقسمت الآمة انقساماً كبيراً بسبب ما أحدثه الشيخ وماوقع فيه من مزالق.

يقول في أول سطر من كتابه "كشف الشبهات" مانصه:

(اعلم رحمك الله أن التوحيد هو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم "نوح" عليه السلام أرسله الله إلى قومه، لما غلوا في الصالحين: "ودٍّ" و"سواعٍ" و"يغوثٍ" و"يعوقٍ" و"نسرٍ.")

انتهى كلامه

قلت: فهل أرسل الله رسوله نوح –عليه السلام– إلى قومه لأنهم غلوا في الصالحين؟ أم لأنهم عبدوهم؟ واعتقدوا فيهم الربوبية؟

ثم يقول في السطر الثاني من الكتاب نفسه مانصه:

(وآخر الرسل "محمد" ، وهو (الذي) كسر صور هؤلاء الصالحين ، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله.)

انتهى كلامه

قلت: ما أروع صورة المشركين! فهم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً!!

فهل تلك هي حقيقتهم؟؟ أم هي صورة مكذوبة باطلة مزيفة .. تخالف الصورة الفعلية التي رسمها بأدق وصف وأبلغ تصوير الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب حين قال لملك الحبشة:

(أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ)

فانظر رحمك الله لوصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمشركي مكة ، في مقابل وصف الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– لتعلم كيف يتم التمهيد للتكفير! وكيف يصنع التطرف! وكيف يزيّن الباطل للناس!

أليس هذا سوى الاختزال المعيب حتى يهيئ مريديه ويخلص إلى تسوية أولئك المشركين بخصومه من الصوفيين وغيرهم ، وهل يعقلُ أن يستوي من يؤمن بالله وبالجنة والنار والحساب والنشور وإن ابتدع في دين الله ، مع من يقول (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) ؟!

فمشركو مكة الذين أنكروا البعث والحساب واليوم الآخر (والذي عليه قامت الشرائع) ، هؤلاء المشركون ، في نفس منزلة خصومه (يصفهم بـ "مشركي زمانه")!!

فطالما كفرهم القرآن الكريم لأنهم جعلوا بينهم وبين الله وسطاء ، (ويكأن هذا كل إشكالهم!!) ، فأولئك أيضاً يستحقون التكفير لأنهم جعلوا بينهم وبين الله وسطاء!

ليس هذا فحسب ..

بل إنه قد تخطى التسوية بين أولئك وهؤلاء إلى حد وصف (شرك!! خصومه من الصوفيين) بأنه أغلظ من شرك الأولين فجعل منزلتهم أحط من منزلة الكفار الأصليين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم

يقول في كتابه (القواعد الأربع) وهو يتحدث عن خصومه من الصوفيين مانصه:

(القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين (!!) لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا (!!) شركهم دائما في الرخاء والشدة.) انتهى كلامه

ولم يقف الشيخ عند هذا الحد ، بل هو يغضُّ الطرف عن ((مساوئ)) مشركي العرب.

وفي المقابل ، فإنه يغض الطرف أيضاً عن ((محاسن)) خصومه من الصوفيين ممن يصفهم بمشركي زمانه

وهكذا يصنع الغلو بالناس ، فحين يضيع منهم الإنصاف ويعمدون إلى اللي والاعتساف ، فإنهم يغدون أسرى لغمط الحق وبطر الناس.

وماحمله على كل ذلك الخلط والخبط ، إلا اضطرابه في فهم معنى الربوبية ، كما أثبتنا اضطرابه في فهم معنى العبادة ، فهو يقصر الربوبية (التي هي أفعال الرب) على الخالقية فقط! والحق أن الربوبية أوسع من الخالقية بكثير.

فيستدل بقوله تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) لقمان: ٢٥ ، فيثبت بهذه الآية الكريمة وبنحوها قيامهم بتوحيد الربوبية على أكمل وجوهه!

لكنّه يذهل عن الآيات الأخرى التي تطعن في ذلك التوحيد المزعوم! فالواقع أن كونهم أقروا ببعض أفعال الرب ، فليس يعني ذلك توحيدهم في بقية أفعال الرب ، فهم فضلاً عن جحد البعث والنشور (من أفعال الرب)

فقد زعموا أن اصنامهم تنصر وتنتصر (من أفعال الرب) (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) يس : **74**

وتعز وتذل (من أفعال الرب) (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) مريم: **81**

وتنفع وتضر (من أفعال الرب) (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) هود : **54**

وأنها شريكة لله في التصرف والتدبير (من أفعال الرب) (قال الإمام القرطبي في تفسيره (**71/16**) :(وَمَنْ أَجَازَ أَنْ تَكُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتِ اللَّهِ فَقَدْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ شِبْهًا لِلَّهِ ، لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ جِنْسِ الْوَالِدِ وَشِبْهَهُ) انتهى كلام القرطبي

فكيف يقال بعد كل هذا وغيره إنهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية؟

واما الآية الكريمة التي يكثر الشيخ ابن عبد الوهاب الاستدلال بها فهي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) الزمر: ٣ . ففيها ذكر "العبادة" بكل وضوح . فهم لم يتخذوهم وسطاء وشفعاء فقط! بل عبدوهم معتقدين ربوبيتهم.

ثم انظر –رحمك الله– إلى كلام الإمام ابن كثير في تأويل آيات سورة الزمر

(ألا لله الدين الخالص) أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله ، وحده لا شريك له.

وقال قتادة في قوله : (ألا لله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا الله . ثم أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم ، (((فعبدوا))) تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أمر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا (((جاحدين له كافرين به))). انتهى كلامه

ثم انظر إلى تعليقه على الآية الكريمة (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون (74) وذلك لتعرف الفرق بين العلماء وبين الأدعياء ، بين السنة وبين البدعة! يقول رحمه الله:

(يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله ، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى) انتهى كلام ابن كثير

3. فصل: تصوره أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل مشركي مكة لعلة شركهم ، ليكون ذلك مسوغاً يسوغ له قتال مشركي زمانه!! لذات العلة

يقول في كتابه (كشف الشبهات) مانصه:

كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً. ثم منهم من يدعو "الملائكة"؛ لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل "اللات"، أو نبياً مثل "عيسى"، وعرفت أن رسول

الله قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:18]

انتهى كلامه

ومع مافي هذا الكلام من فساد نسبة المشركين للصلاح ، وأنهم يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً!! (وهو لايذكر ذلك المديح والإطراء حباً فيهم) ، ولكنه تمهيد بإثبات وجود تشابه بينهم وبين مسلمي عصره ، فيتهيأ المريدون للتكفير واستحلال الدماء.

فإن أسوأ مافيه –حقاً– دعواه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل مشركي مكة على الشرك ،

وكأنه يذهل عن حقيقة أنهم هم الذين ناصبوا النبي صلى الله عليه وسلم العداء ، وأنهم هم الذين تآمروا على قتله ، وأنهم هم الذين عذبوا أصحابه وآذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقاتلهم لشركهم مرة واحدة ، بل كانوا هم المعتدين عليه في كل مرة! حتى قال قولته المشهورة بعد الأحزاب: اليوم نغزوهم ولايغزوننا!

وكل ماوقع من اضطراب لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه (السلفية بشقيها العلمي–الجهادي) ، في باب (القتال) إنما وقع لسوء فهمهم لنصوص الكتاب الحكيم ، أو لافتقارهم القدرة على الجمع بين نصوص القرآن والسنة ، أو نصوص القرآن نفسها مع بعضها البعض

أقول:

كثيراً ما تأتي لفظة (الكفار) في الكتاب والسنة على جهة التعيين ، (يعني يكون المراد بها صنف معين من الكفار) ، كالكلام في مشركي شبه الجزيرة العربية ممن حاربوا المسلمين وقاتلوهم في الدين وأرادوا استئصال شأفة الإسلام ومحو عقيدته.

فهؤلاء ارتبط كفرهم بالقتال والاعتداء ، فوجب قتالهم رداً ، وليس ابتداءاً !

لأن القاعدة الأصيلة لدى المسلمين ، هي في قوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) والفعل "يقاتلونكم" فعل مشاركة على وزن "مفاعلة" فلايقع إلا بوجود طرفين ، فالمفاعلة هي وقوع الفعل (الذي هو القتل) من الجانبين وإنما أسند الفعل لآخر مذكور ليكون شرط قتالنا لهم ، إصرارهم هم على قتالنا ، فكأن المراد: قاتلوا المصرّ على قتلكم والمستمر فيه ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم

وبالتالي ..

فموقفنا من غير المسلم فيما يتعلق بالقتل والقتال ، لاعلاقة له باعتقاده البتة ، فلا إكراه في الدين ، وإنما يتأسس موقفنا منه ، إن هو بادر المسلمين بالقتال في الدين (أقول في الدين لأن بعض قتالهم لنا قد يكون لعلة أخرى ، كمصلحة دنيوية ، أو منفعة مادية زائلة)

فإذا طبقنا هذه القاعدة القرآنية المحكمة على آيات سورة التوبة ، وفهمنا السورة نفسها في ظل السياق التاريخي الذي نزلت فيه آياتها

لعرفنا المراد من قوله تعالى: (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)

فالآيات لاتحض على قتال كل كتابيّ كما توهمه بعض من لم يتحرّ العلم من المسلمين! بل على قتال صنف معين من الكتابيين وهم الروم الذين بادءوا المسلمين بالاعتداء وبإشعال نار الحرب ونقض العهد

فقد قتل سفير رسول اللّه صلى الله عليه وسلم . الحارث بن عمير الأزدي ، على يدي شُرَحْبِيل بن عمرو الغساني حينما كان يحمل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظيم بُصْرَي ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية زيد بن حارثة التي اصطدمت بالروم اصطداماً عنيفاً في مؤتة (سنة 8 هجرية) ، وقام لروم بتجهيز الجيوش لغزو المدينة بمشاركة حلفائهم من الغساسنة

وكانت الأنباء تترامي إلى المدينة بإعداد الروم للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين حتى كان الخوف يتسورهم كل حين ، لا يسمعون صوتاً غير معتاد إلا ويظنونه زحف الروم ، فجاء الأمر بقتالهم وكانت غزوة تبوك (سنة 9 هجرية).

وإلا فكيف يتوهم مسلم فضلاً عن كافر أن الإسلام يأمر بقتال كل كتابي؟؟ وهو يجيز للمسلم الزواج من الكتابية ، بل ويندب إلى البر والإحسان بمن لم يقاتل المسلمين في دينهم منهم.

قال تعالى: (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة : 8

فهذه الآية الكريمة ، مع آية لا إكراه في الدين ، مع آية ولاتعتدوا ، يمثلون الدستور الإسلامي القاطع المحكم في التعامل مع غير المسلمين.

وسياق الآيات الكريمة يذكر الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، فهل أهل الكتاب لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر؟

بل الجواب على هذا السؤال كفيل بإثبات أن الآية مخصوصة بصنف متعين منهم .. وهم الروم كما أسلفت.

قال المعارض: فماذا عن قوله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ (الآية)

قلت: الواو استئنافية لخبر جاء قبلها ، والضمير "هم" يعود على مخصوص! فالأمر هنا ليس عاماً كما تظن.

وإلا فالآيات كلها قبل الآية الكريمة تتحدث في صنف معين من المشركين ، هم مشركو مكة الذين نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما الفتنة في الآيات الكريمة ..

فيحتمل أن تكون الكفر! كما قرره أهل التأويل ، وهو هنا ليس الكفر المجرد وإنما الكفر المقترن بالاعتداء والظلم والرغبة في رد المسلمين عن دينهم

ويحتمل أن تكون فتنتهم للمسلمين في دينهم وهو الأكثر مناسبة للسياق ، كما فعلوا في مكة عندما كانت القوة والسلطان للمشركين فتآمروا على قتل رسول الله وكانوا يعذبون أصحابه وأرادوا فتنتهم وردهم عن دينهم.

وإلا فالله تعالى يقول في آية محكمة قاطعة في دلالتها: "لا إكراه في الدين"

فليس الإشكال في كلام ابن عباس ولا كلام غيره من السلف ، وإنما الإشكال في عجز بعض المسلمين عن الجمع بين هذه الآية وغيرها من النصوص القرآنية والشرعية الأخرى

قال المعارض: فلماذا غزا إذن نبي الله سليمان –عليه السلام– مملكة سبأ لمجرد سجودهم للشمس؟؟ وكان هو المبتدئ بالقتال لاهم ، بل أصرَّ عليه رغم إرسالهم بالهدايا إليه

قلت: لم تجد مستنداً واحداً في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم تحتج به ، فرحت تفتش في شريعة نبي الله سليمان؟ وخصائص نبوة محمد ليست كخصائص نبوة سليمان لو كنت تعلم!

فقد جمع سليمان –عليه السلام– الملك والنبوة معاً ، أما رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان نبياً ولم يكن ملكاً.

لما جاءه عدي بن حاتم يريد معرفة حقيقة دعوته ، دعاه صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فألقت إليه الجارية وسادة يجلس عليها ، فجعل الوسادة بينه وبين عدي ، وجلس على الأرض. قال عدي : فعرفت أنه ليس بملك.

وكان يقول لأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– يَا عَائِشَةُ ، لَوْ شِئْتُ ، لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ : إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا ، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا ، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ ، فَقُلْتُ : نَبِيًّا عَبْدًا .. (الحديث)

فماهو الفرق ؟؟

الملك معلوم..

أما النبوة ، فهي التبليغ ((المجرد)) عن رب العزة سبحانه.

والآيات القرآنية المحكمة الدالة على تلك الخاصية النبوية المحمدية أكثر من أن تحصى

(فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) النحل : 82 (لم يقل: فقاتلهم)

(فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ) الشورى : 48 .. لم يقل: (فأعلن عليهم القتال)

(وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) الرعد : 40

(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) المائدة : 99

وللاستفاضة في هذا الموضوع فإنني أحيلُ القارئ الكريم على الموسوعة الرائعة لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي. والتي أنصح القراء بمراجعتها (فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة) ففيها أجوبة مفصلةٌ على كل ماورد في هذا الباب ، وردود حاسمة على دعوى النسخ بما أسموه "آية السيف" التي هم أنفسهم متنازعون في تعيينها.

وبهذا ينتهي الموضوع الثاني .. لأنتقل بعده إلى الموضوع الثالث .. نماذج التكفير من كتابات الشيخ

الباب الثالث .. أمثلة من ولوغ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفير عموم المسلمين

وأبدأ بهذا التقرير التأصيلي الممنهج الذي يبين منهجية الشيخ بشكل واضح لالبس فيه ولا غموض! وذلك في جوابه عما يقاتل عليه ومايكفر به .. من كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية .. يقول الشيخ:

أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، الذي أظهرناه للناس، وأقر أيضا أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر، الذي هو (((دين غالب الناس))) ، أنه الشرك بالله، الذي بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، (((نقاتله بكفره))) ؛ لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس.

ثم يورد الأنواع الثلاثة الأخرى من أصناف الكفار والمشركين بزعمه!! والكلام فيهم تابع للكلام في هذا الصنف الأول

http://shamela.ws/browse.php/book-3055/page-96#page-97

وتعليقي عليه مايلي:

يقر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن الاعتقادات المنافية لما يرى هو أنه دين الله ورسوله ، هو دين غالب الناس!!

قال المعارض: لم يقل دين المسلمين ، بل قال (دين الناس) ، والله تعالى يقول: (وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) صدق الله العظيم

قلت: ما أبرد ذلك الرد وما أركَّه! وذلك من وجوه:

فأما الأول: فالمتتبع لكتب شيخكم ولسيرته ومسيرته ، يعرف أنه يتكلم عن المسلمين الذين كفرّهم وسمى ديارهم (بلاد الشرك) ووصفهم بأعداء التوحيد!

وأما الثاني: فعبارته نفسها أدل على نقيض حجتكم ، ولو أتممتموها لعرفتم أنكم تدافعون عنه بما يأباه هو نفسه لأنه يناقض كلامه وتصوراته .. فتأمل قوله: مع أنه لا يبغض دين الرسول ، ولا من دخل فيه ، ولا يمدح الشرك ، ولا يزينه للناس! فهل يفعل هذا سوى المسلم؟

وأما الثالث: فالسياق يؤكد أن مايعنيه هو من (دين الله ورسوله) الذي أظهره للناس ، ماعليه هو ومريدوه ، وأن دين الشرك ما عليه بقية المسلمين الذين خالفوه

وأما الرابع: فلأن الشيخ لم يتجاوز في حروبه التي شنها على بلاد الشرك! مدن وقرى شبه الجزيرة العربية وما حولها ، فلم يذهب مثلاً لقتال روسيا ولا بريطانيا ولا غيرهما.

المثال الثاني: تكفيره لأهل الشام

قال (الدرر 45/2)

(لكن هو أتى من الشام، وهم يعبدون ابن عربي، جاعلين على قبره صنما يعبدونه ، ولست أعني أهل الشام كلهم، حاشا وكلا; بل لا تزال طائفة على الحق، وإن قلّت ، واغتربت).

انتهى كلامه

قلت: فتأمل يرحمك الله وهو يجعل عبادة الأصنام التي هي الكفر البواح هي الأصل في بلاد الشام .. ثم يستثني من هذا طائفة يصفها بأنها لاتزال على الحق! ولكنه يؤكد أنها هي القلة القليلة! فكأنما الكثرة الكاثرة من المسلمين مشركون بزعمه!

فأي تكفير على العموم ، وعلى أعيانهم ، لا على مقالاتهم أوضح و أصرح من ذلك ؟؟

المثال الثالث :

تكفيره العلامة الحنبلي سليمان بن سحيم! قال في الدرر (31/10)

(وقبل الجواب، نذكر لك أنك أنت وأباك، مصرحون بالكفر، والشرك، والنفاق، ولكن صائر لكم عند "خمامة" في معكال، قصاصيب وأشباههم، يعتقدون أنكم علماء؛ ونداريكم نود أن الله يهديكم ويهديهم; وأنت إلى الآن أنت وأبوك، لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة، أنك لا تعرفها إلى الآن، ولا أبوك)

انتهى كلامه

قلت: أليس هذا سوى تكفير الأعيان؟؟

قال المعارض: بل تلك إقامة الحجة على الرجل ، فلعله قد أتى من أفعال الكفر أو أقواله مالاتعرفه أنت ويعرفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب! وإلا فهو يقول وقلبه يكاد يتمزق: أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة

قلت: جوابك هذا باطل .. بل من أبطل الباطل من وجوه

أما الأول: فلأن إقامة الحجة على الكافر المعين إنما يراد بها الحجة الرسالية القاطعة! كما أقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجة على مشركي مكة ، فاعترفوا هم وأقروا أن القرآن الذي جاء به ليس من كلام البشر وبأنهم لم يعهدوا عليه كذباً قط (حادثة جبل الصفا) ، فهنا وهنا فقط .. تكون الحجة حجة!

أما إيصال الرسائل للناس مع عدم اعترافهم وإقرارهم بصحة مافيها .. فلايسمى حجة!! وإلا كان كل خصم مقيماً للحجة على خصمه! وكان خصمه ذلك مقيماً لنقيض هذه الحجة عليه!! فيقع من التكفير والتفسيق والتبديع مالاينتهي .. والفضل كل الفضل للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمثاله!

وأما الثاني: فالتأويل مانع عظيم من موانع التكفير .. فلعل المخاطب بما تزعمون أنه حجة .. له تأويل سائغ لما هو عليه وأنتم لم تسمعوا كلامه ، وقد عاتب الله سيدنا داوود حين حكم على الخصم دون أن يسمع له فقال له: ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

وأما الثالث: فلأن شيخكم قد اعترف أنه هو نفسه لم يكن يعرف معنى شهادة لا إله إلا الله ولادين الإسلام قبل الزلزال الذي ضربه في لحظة دخيلة على حياته .. وقد نقلت كلامه آنفاً في الموضوع الأول من هذا البحث .. ثم هو في مواضع كثيرة من كتبه يقرر أن النطق بالشهادتين دون معرفة المعنى كفر! فهو يكفر مشايخه جميعاً بل ويكفر نفسه بنفسه!

وأما الرابع: فالحرقة الظاهرة في كلامه ليست مستند صحة!! وإلا فقد كان الخوارج من أكثر الناس صلاة وصياماً وادعاءاً أنهم أغير الناس على الدين ، ولكنهم كفروا المسلمين وقاتلوهم .. حتى كفروا علياً نفسه –رضي الله عنه– فهل كانت الحرقة مستنداً يثبت صحة ماهم عليه؟!!

فأما عليٌ رضي الله عنه فلم يكفرهم .. ذكر ابن عبد البر أن الإمام عليا ـ رضي الله عنه ـ سئل عنهم: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا ـ قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل فما هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة، فعموا وصموا، وبغوا علينا، وقاتلوا فقاتلناهم

فهذا هو الفارق بين العلم وبين الجهل .. الفارق بين النور وبين الظلام .. الفارق بين السنة وبين البدعة .. لو كانوا يعلمون!

المثال الرابع:

تكفيره كبار علماء الحنابلة في نجد (أحمد بن عبد الكريم , ابن غنام , ابن فيروز , صالح بن عبد الله) : قال (الدرر 63/10):

(من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم، سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.أما بعد: وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت، وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته، ثم ورد منك مراسلة، تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال، فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام).

وهذا تكفير صريح لعلماء الحنابلة بنجد الذين خالفوه : أحمد بن عبد الكريم , وابن غنام , وابن فيروز , وصالح بن عبد الله! ويتبيّن من النص السابق أنه كان يحصر المسلمين في نفسه وأتباعه , وأن من خالفهم فهو مشرك

المثال الخامس:

تكفيره أكثر المسلمين في نجد والحجاز!! قال (الدرر 43/10)

(ومعلوم: أن أهل أرضنا، وأرض الحجاز، الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به!!، والذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه...)

وهذا محض افتراء! فكل المسلمين, بل اليهود والنصارى , يقرون بالبعث بعد الموت ,ولم يذكر أحد ممن أرّخ للجزيرة ونجد أنهم كانوا ينكرون البعث , وكتب علمائهم ما زالت موجودة شاهدة على أنّ هذا افتراء مكشوف !

المثال السادس :

تكفيره بادية نجد :قال (الدرر 82/10)

(وأعظم وأطم: أنكم تعرفون أن البادية، قد كفروا بالكتاب كله، وتبرؤوا من الدين كله، واستهزؤوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث ، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله ، واستهزؤوا بها ، مع إقرارهم بأن محمدا رسول الله ، وأن كتاب الله عند الحضر، لكن كذبوا وكفروا) انتهى كلامه

قلت: فتأمل يرحمك الله جملته التي يشيب من هولها الولدان (مع إقرارهم بأن محمدا رسول الله) .. وهو يقول قبلها (قد كفروا بالكتاب كله، وتبرؤوا من الدين كله) فهل هذا سوى كلام رجل مضطرب متخبط لايدري مايقول! فهو يقول الجملة وينقضها في ذات جملتها! وإنا لله وإنا إليه راجعون

المثال السابع:

قوله بأن أكثر الناس على الإشراك بالله! : قال (الدرر 253/9)

(بل الذي نتحقق ونعتقده: أن أهل اليمن وتهامة، والحرمين والشام والعراق، قد بلغتهم دعوتنا، وتحققوا أنا نأمر بإخلاص العبادة لله، وننكر ما عليه أكثر الناس، من الإشراك بالله من دعاء غير الله)

المثال الثامن:

ومما يدلّ على أن المشركين عند ابن عبد الوهاب مخالفوه من العلماء , ما قاله في كشف الشبهات , حيث قال: (وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا...)!!

فأي مشرك هذا يردّ على ابن عبد الوهاب ويخطّؤه بكتاب الله تعالى؟! ألا يدلّ ذلك دلالة قاطعة على أن مقصوده بالمشركين العلماء الذين ردّوا عليه؟

وقال أيضاً في كشف الشبهات: (وما ذكرتَ لي أيها المشرك!! من القرآن أو كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– لا أعرف معناه...) .!!

فمن هو هذا المشرك الذي يردّ على ابن عبد الوهاب بالقرآن والسنّة؟! أقول: من هم هؤلاء المشركون الذين يستندون إلى كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– للرد على محمد بن عبدالوهاب ؟؟

المثال التاسع:

تكفيره الإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير!! قال (الدرر 72/10)

(ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع، فكانوا مرتدين؛ وكثير منهم، تارة يرتد عن الإسلام ردة صريحة، وتارة يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق، والحكاية عنهم في ذلك مشهورة. وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا في أول مختلف الحديث؛ وأبلغ من ذلك: أن منهم من صنف في الردة، كما صنف الرازي في عبادة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين. هذا لفظه بحروفه).

انتهى كلامه

ومعلوم أن الإمام الرازي أقوى من أبطل عبادة الكواكب بالأدلة العقلية والنقلية في تفسيره الكبير , فتأمل!!

المثال العاشر:

تكفيره المتكلمين!! قال (الدرر 53/1):

(وأنا أدعوك إلى التفكر في هذه المسألة، وذلك أن السلف قد كثر كلامهم، وتصانيفهم في أصول الدين، وإبطال كلام المتكلمين، وتفكيرهم، وممن ذكر هذا من متأخري الشافعية: البيهقي، والبغوي، وإسماعيل التيمي، ومن بعدهم، كالحافظ الذهبي; وأما متقدموهم: كابن سريج، والدارقطني، وغيرهما، فكلهم على هذا الأمر؛ ففتش في كتب هؤلاء، فإن أتيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلا واحدا لم ينكر على المتكلمين، ولم يكفرهم، فلا تقبل مني شيئا أبدا) انتهى كلامه

وهذا دال على جهل مركب! إذ إن البيهقي أحد متكلمي أهل السنة! وكان ينقل عن بعض المتكلمين كالإمام الأشعري , وكذلك قد ترجم الذهبي لكثير من متكلمي أهل السنة وأثنى عليهم ولم يكفرهم ! بل قد ترجم لبعض متكلمي المعتزلة ولم يكفرهم أيضاً!!

فهل مثل هذا يصلح أن يكون إماماً فضلاً عن عالم؟؟ بل هو رجل تكفيري منقوعٌ في ماء التكفير فلايكاد يستطيع مفارقته إلا وتزهق معه روحه!

المثال الحادي عشر والأخير:

قال في الدرر السنية (2/84-85، 8)

"فإن قال هذا المشرك: لم أقصد إلا التبرك ; وإني لأعلم أن الله هو الذي ينفع ويضر ، فقل له: إن بني إسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت ، كما أخبر الله عنهم، أنهم لما جاوزوا البحر: {فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [سورة الأعراف آية: 138] ، فأجابهم بقوله: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} الآيتين [سورة الأعراف آية: 138]

انتهى كلامه

قال الدكتور حاتم بن عارف العوني (وهو أحد المنصفين النوادر من علماء المملكة المعاصرين ممن تصدوا للتكفير في فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأسأل الله أن يجزل له المثوبة على جهده وجهاده)

قال الشريف حاتم العوني: وتنبهوا أنه هنا أنه يحكم بكفر شاهدٍ للشهادتين يصرح أنه لا يقصد إلا التبرك ، وأنه يعلم أن الله هو الذي ينفع ويضر.

تنبيه هام: الأمثلة السابقة أكثر مافيها منقول بنصه من موضوع كتبه فضيلة الشيخ عثمان محمد النابلسي في منتدى الأصلين تحت عنوان: "نقد الرؤية الوهابية للتوحيد وقسميه" فهذا من باب الأمانة العلمية وعزو المصادر لأهلها.

وبهذا ينتهي الموضوع الثالث من هذا البحث أو الحوار ، لأنتقل بعده إلى الموضوع الرابع .. نماذج من أفعال الشيخ كما يذكرها المؤرخون من معاصريه وتلامذته

الباب الرابع .. نماذج من أفعال الشيخ كما يذكرها المؤرخون من معاصريه وتلامذته

يقول الشيخ محمد عثمان النابلسي (بتصرف)

كانت بريطانيا العظمى من أقوى دول العالم , وكانت تكافح بكلّ ما أوتيت من قوة لهدم الخلافة العثمانية , وسلكت في سبيل هذا الهدف كلّ ما تيسّر لها من جهود وتحالفات , فقامت باستعمار كثير من البلدان الإسلامية

وفي أثناء تنفيذ هذه المخططات الاستعمارية في ديار الإسلام , التي تَرمي لهدم الخلافة الإسلامية واجتثاثها من جذورها , وتمزيق البلاد الإسلامية واستغلالها , قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في صحراء نجد , فأعلنت الجهاد والحرب على المشركين!!

لكنّ المشركين عندهم ليسوا المستعمرين الغربيين!! بل هم كلّ المسلمين الذين ينضوون تحت الخلافة الإسلامة العثمانية!! وكلّ المسلمين الذين يخالفونهم في تكفير مرتكبي بعض البدع والمحرمات) انتهى كلامه

وفي هذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في درره! السنية مانصه: " فمن لم يكفر المشركين من "الـدولـة الـتـركـيـة"، وعباد القبور، كـ"أهـل مـكـة" وغيرهم، ممن عبد الصالحين، وعدل عن

توحيد الله إلى الشرك، وبدّل سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم بالبدع، فهو كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم، ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين ; فإن الذي لا يكفر المشركين، غير مصدق بالقرآن، فإن القرآن قد كفر المشركين، وأمر بتكفيرهم، وعداوتهم وقتالهم.)))!!!!

قلت: وإليك أخي القارئ بعض الأمثلة على ماوقع من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما يحكيها معاصروه وأتباعه وأصحابه ، وبلسانهم هم لا بألسنة خصومهم!

والتي تشتمل على قتال المسلمين (يصفونهم بالمشركين) .. وسبي أموالهم (يسمونها بالغنائم ويحصل الشيخ وشريكه على خمسها!!!!!)..

ومعظمها منقول من نفس المصدر .. بحث للشيخ محمد عثمان النابلسي حفظه الله ورعاه وسدد على طريق الحق خطاه بعنوان (نقد الرؤية الوهابية للتوحيد وقسميه – الصفحة الثامنة)

المثال الأول :

جيوش محمد بن عبد الوهاب تغزو بلاد المشركين ... من الشام!!! إلى عمان!!! ومن الحيرة!!! إلى اليمن!!!

قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن في "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (**465/1**):

(ولذلك صار لشيخنا ، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، ولطائفة من أنصاره، من المُلك والظهور، والنصر، بحسب نصيبهم، وحظهم من متابعة نبيهم صلى الله عليه وسلم والتمسك بدينه، فقهروا جمهور العرب، من الشام إلى عمان، ومن الحيرة إلى اليمن)

المثال الثاني:

جاء في الدرر السنية (253/9):

(وأما من بلغته دعوتنا إلى توحيد الله، والعمل بفرائض الله، وأبى أن يدخل في ذلك، وأقام على الشرك بالله، وترك فرائض الإسلام، فهذا نكفره ونقاتله، ونشن عليه الغارة، بل بداره؛ وكل من قاتلناه فقد بلغته دعوتنا، بل الذي نتحقق ونعتقده: أن أهل اليمن وتهامة، والحرمين والشام والعراق، قد بلغتهم دعوتنا .....

ومثل هؤلاء لا تجب دعوتهم قبل القتال، فإن النبي –صلى الله عليه وسلم – أغار على بني المصطلق وهم غارون، وغزا أهل مكة بلا إنذار ولا دعوة!!).

المثال الثالث:

جاء في الدرر السنية في الأجوبة النجدية عن ابن عبد الوهاب (320/16):

(أمر بالجهاد هو والإمام محمد بن سعود، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، وعدوا للجهاد ما استطاعوا من الإعتاد.

وكان الشيخ هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث السرايا على يد الإمام، ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونه، والوفود إليهما، والضيوف عنده، وصدور الأوامر من عنده؛ حتى أذعن أهل نجد...).

المثال الرابع:

قال عبد الرحمن بن حسن (الدرر 14/12):

(إن شيخنا شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى، لما ألهمه الله رشده وفتح بصيرته في تمييز الحق من الضلال، وأنكر ما عليه الناس من الشرك فبادروه بالعداوة والإنكار لمخالفتهم ما قد اعتادوه ونشؤوا عليه هم وأسلافهم من الشرك والبدع؛ وأعظم من عاداه ونفر الناس من دعوته العلماء والرؤساء...).

قلت: تأمل رحمك الله قوله (ماقد اعتادوه ونشأوا عليه هم وأسلافهم من الشرك والبدع)!!

المثال الخامس:

وقال ايضاً .. الدرر (18/17)

(واشتد القتل في عسكره، فأخذوا جميع ما كان معه من المواشي وغيرها، فصار بعد ذلك في ذل وهوان. وفتح الله الطائف للمسلمين، وصار أميره عثمان بن عبد الرحمن، فاجتمع فيه دولة للمسلمين، وساروا لحرب الشريف، ومعهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير

وسالم بن شكبان أمير أكعل بيشة، فنَزلوا دون الحرم , فخرج إليهم عسكر من مكة فقتلوهم، فطلب الشريف المذكور منهم الأمان، فلم يقبلوا منه إلا الدخول في الإسلام، والبيعة للإمام سعود ، فأعطاهم البيعة)

حتى قال:

(كل من ذكرنا ممن عاداهم، من أهل نجد والأحساء، وغيرهم من البوادي، أهلكهم الله، ولحقتهم العقوبة حتى في الذراري، والأموال، فصارت أموالهم فيئا لأهل الإسلام..!!)

المثال السادس:

قال عثمان بن معمر في عنوان المجد (1/ وما بعدها52):

(وقتل في ذلك اليوم من أهل الرياض محمد بن سودا وسرحان البكاي وابن مسيفر وثمانية غيرهم , وقتل من المسلمين حمد بن محمد , وحمود بن حسين .....)

(ولم يقع في ذلك اليوم قتال إلا رمي بالبنادق من بعيد , وأصيب من أهل الرياض سليمان بن حبيب وأناس معه , ودخل قلوبهم الرعب , وقتل من المسلمين عبد الله بن عبيكة وابن عقيل , فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى بلد "منفوحه...)

المثال السابع:

قال مؤرخ الوهابية حسين بن غنام في كتابه "تاريخ نجد" ص97:

(وقد غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية في السنة نفسها , والأمير عليهم عثمان , ولم يقع قتال إذ لم يخرج من اهل البلد أحد لقتالهم , فدمّر المسلمون المزارع وانقلبوا راجعين) .

المثال الثامن:

قال مؤرخ الوهابية حسين بن غنام في كتابه "تاريخ نجد" ص103 :

(تعاهدوا على قتله بعد انتهائه من صلاة الجمعة ، وقتلناه وهو في مصلاه بالمسجد , في رجب 1163 هـ).

قال ابن بشر في عنوان المجد (60/1):

(فلما فرغت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس , قتل في المسجد).

فهذا هو التوحيد الذي يدعو إليه الوهابي !! فبعدما خالفهم عثمان بن معمّر في سفك الدماء كما سبق نقله , ما كان منهم إلا أن سفكوا دمه هو الآخر!! مع أنّه زوّج ابنته لعبد العزيز نجل محمد بن سعود!

ثم كيف يكون هذا الرجل مشركاً وقد قُتل غيلة بعد أدائه صلاة الجمعة في المسجد؟! يبدو أنّ معنى "المشرك" عند الوهابية غير معناه عند بقية المسلمين!!

المثال التاسع:

قال ابن غنام في تاريخ نجد ص105:

(ثم غزا المسلون الخرج –وأميرهم مشاري بن معمّر , فأغاروا على أهل الدلم , وأخذوا أغنامهم ثم انقلبوا راجعين)

ثم قال في نفس الصفحة:

(وفي شوال من هذه السنة , ارتد أهل حريملاء! , وكان قاضيها سليمان بن عبد الوهاب !! , أخا الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

كما قال أيضاً:

(ثم غزا المسلمون (!!!) وأميرهم عبدالعزيز الأحساء (يقصد: عبد العزيز ابن محمد ابن سعود) ... فأناخ في مكان يسمى المطيرفي وهجم على من كان فيه من المشركين (!!!) فقتل منهم نحو سبعين رجلا ، وأخذ المسلمون كثيرا من الأسلحة والأمتعة والدواب.)) انتهى

وقال أيضاً:

(ثم فتح (!!!) المسلمون حريملا عنوة .... حتى قوله: فتفرقوا في الشعاب و الجبال و قتل المسلمون منهم مائة رجل و غنموا (!!!) كثيرا من الذخائر والأموال .. ودخل المسلمون (!!!) البلدة و أعطى عبدالعزيز بقية الناس الأمان ، وصارت البلدة فيئاً (!!!) من الله ، ودورها و نخيلها غنيمة (!!!) للمسلمين) انتهى

المثال العاشر

قال سعود بن عبد العزيز كما في الدرر السنية (285/9):

وما ذكرت من جهة الحرمين الشريفين، الحمد لله على فضله وكرمه، حمدا كثيرا كما ينبغي أن يحمد، وعز جلاله، لما كان أهل الحرمين آبين عن الإسلام، وممتنعين عن الانقياد لأمر الله ورسوله، ومقيمين على مثل ما أنت عليه اليوم من الشرك والضلال والفساد، وجب علينا الجهاد

بحمد الله فيما يزيل ذلك عن حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم من غير استحلال لحرمتهما)..

العجيب بعد هذا الاعتراف بإعماله القتل في أهل الحرمين , يقول : "من غير استحلال لحرمتهما" وأي حرمة لهما بعد قتل أهلهما؟!

وأكتفي بهذا القدر .. فطالب الحق يكفيه دليل ، وصاحب الهوى لايكفيه ألف دليل! وإلا فتاريخ ابن بشر وابن غنام ومقالات تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومعاصريه في دررهم السنية! مما تشيب له الرءوس!!

الباب الخامس: بعض المعارضات من السادة القراء

المعارضة الأولى: قال المعارض:

ومن مغالطاتك (يخاطبني) الإدعاء أن ابن عبد الوهاب رسم صورة زاهية لمشركي مكة. فهذا من الإقتطاع والإنتقاء العجيب فلابن عبد الوهاب كتاب اسمه (شرح مسائل الجاهلية) يتحدث فيه عن مظاهر الجاهلية أرجو من كل متابع للحوار أن يقرأه بنفسه ففيه مايغني عن التفصيل. فطريقة مقابلة كلام ابن عبد الوهاب في موضوع بقول الصحابي جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه– هي مغالطة أربأ بك عن تعمدها فلربما لم تقرأ هذا الكتاب واكتفيت بما تنقله المواقع التي تلتقط من كتبه ما تستطيع وضعه في البؤرة وتضخيمه

وجوابي عليه مايلي:

يالها من مغالطة! تعال إذن لنرى تلك المغالطات ، فلعلك أحقّ بهذه التهمة من غيرك!

أولاً دعوى الاقتطاع

الاقتطاع يعني قص جزء من النص للإيحاء بخلاف مراد قائله أو بنقيض ذلك المراد

فكيف يجاب إذن على المقتطِع؟؟ (القائم بفعل الاقتطاع)

يجاب عليه بإيراد النص كاملاً حتى ينكشف المراد الذي تعمد إخفاءه أو الإيحاء بخلافه!

فهل فعلت أنت ذلك؟ لم تفعل!

بل أوردت نصاً آخر! وسوف يأتيك الجواب على مافيه في (ثانياً)

ولبيان ذلك الخطأ ..

فإن قال لك قائل: إن الله ينهى الناس عن الصلاة! فحين يقال له فمادليلك على دعواك؟ فيقول: انظر قوله: ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة! ويسكت!

فيقال له: كذبت! ولو أكملت النصّ الذي اقتطعته لبان لك مراد الله تعالى: "لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى"! فالنهي هنا لا عن الصلاة مطلقاً كما تزعم ، بل عن الصلاة في حالة السكر!

فهل فعلت أنت ذلك ياأخي الكريم؟؟ أترك لك الجواب بإكمال النص الذي قمت أنا باقتطاعه! ولا أظنك تفعل

ثانياً: أما استدلالك بكلام الشيخ في كتابه "مسائل الجاهلية" فهو أدلّ على نقيض دعواك من وجوه

فأما الأول: فلو أنك قرأت الموضوع بغير تسرع ، لوجدت هذه الجملة ماثلة أمام ناظريك في السطر الرابع ، الفصل الثالث ، الباب الثاني

حيث قلتُ فيها مانصه:

"وهو لايذكر ذلك المديح والإطراء حباً فيهم ، ولكنه تمهيد لإثبات وجود تشابه بينهم وبين مسلمي عصره!!"

انتهى كلامي وهو أوضح من الوضوح

وأما الثاني: فهل تظن أنك بالإحالة على كتابه "مسائل الجاهلية" ، أنك بهذا قد حسّنت صورة الشيخ؟ أم أنك بلسان حالك قبل مقالك تثبت مانسبه في حق مشركي قريش!

فكأنما أردت أن تدافع عن تهمتي له بنسبها لنفسك! فهل نسبها لنفسك يمنع كونها تهمة؟

ثم كيف يكون كفار قريش متصفون بهذه الأوصاف الرائقة؟ لعلنا ظلمناهم إذن يارجل!!

أفلم يكونوا يرتكبون كل الموبقات من الظلم والبغي والإفساد في الأرض ومن سائر أنواع الفساد الاجتماعي والاقتصادي والمالي والاعتقادي ، فهم ينسبون لله البنات ، ثم إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم.

ناهيك عن فتنتهم لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لردهم عن الإسلام بالتعذيب الشديد وعلقوا سمية أول شهيدة في الإسلام حتى إن الصبية ليعبثون في مواطن العفة في جسدها ثم طعنها أبو جهل بحربة في قلبها ففاضت روحها وهي المرأة العجوز الفقيرة الضعيفة.

فضلاً عن تآمرهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا فراره منهم ، ثم أخرجوا أصحابه من ديارهم وأموالهم بعد أن حاصروهم وجوعوهم وفعلوا فيهم الأفاعيل

فهل هؤلاء يذكرون الله كثيراً ؟ فكيف به إذن لو كان يصف عبادة ابن عمر أو زهد إبراهيم ابن أدهم؟ سؤال عويص ..!! ولا أظنك تجيب عليه أبداً !!

وأما الثالث: فالشيخ معطوب بداء التكفير كما أثبتت ، ولذا فهو ينوع أساليبه في التمهيد لفكرته .. والتأسيس لها

فحين يتوقع معارضة غيره له بقولهم: لكنّ المسلمين الذين تريد تكفيرهم يفعلون الخير فهم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله ، فكيف تتجاسر على تكفيرهم؟"

فيستبق هو تلك المعارضة المنتظرة حين يزعم: قد كان المشركون الأوائل يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ، ورغم هذا فقد كفّرهم القرآن الكريم!

فأما إذا أراد الشيخ أن يؤسس للتكفير بأسلوب آخر ، جاء بمسائل الجاهلية كما في كتابه المذكور فعددها وتوسع فيها ، ليقيس المسلمين ممن يريد تكفيرهم عليها!

فإذا كان هناك من خيرٍ يفعله خصومه من المسلمين ، وصف المشركين بنظيره ليساوي بينهم وبين خصومه فيسهل على العوام ابتلاع فكرة تكفيرهم!

وإذا كان هناك من شر فعله المشركون ، وصف خصومه المسلمين بنظيره ليساوي أيضاً بينهم وبين المشركين فيسهل على العوام ابتلاع فكرة تكفيرهم!

فقد كان الشيخ معطوباً بداء التكفير الذي لادواء له منه! فحاول النبش بكل طريقة في كل مامن شأنه أن يثبت دعواه المنقوضة وحجته الداحضة!

وركب كل مركب في تكفير المسلمين ، فإذا بمراكبه ومراكب من يحاول دفع ماليس مدفوعاً عنه .. إذا بها تغرق واحداً وراء الآخر! والحمد لله رب العالمين

المعارضة الثانية: قال المعارض:

ولقد تناقشنا قبل ذلك في موضوع أن مشركي قريش يؤمنون بربوبية الله ولكن يشركون بالوهيته ووضحت وقتها أن القرآن الكريم أثبت ذلك وفسره غير قليل من علماء المسلمين القدامي ولم يبتدعه محمد بن عبد الوهاب .

وهذا الإيمان بالربوبية هو إيمان إجمالي حكاه الله عز وجل فلايمكن نقضه بدخول في تفاصيل الإيمان بالربوبية.

قال جل وعلا: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج

الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله: قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله، قل أفلا تذكرون، قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله، قل أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شئ، وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون الله، قل فأنى تسحرون). وهذا لاينفي أنه يوجد منهم من يكفر بالربوبية والألوهية كلاهما وهذا لاينفي الأول.

وجوابي عليه مايلي:

قولك: (ولقد تناقشنا قبل ذلك في موضوع أن مشركي قريش يؤمنون بربوبية الله ولكن يشركون بالوهيته)

ولو أنك وقفت عند قولك هذا ولم تزد عليه شيئاً لاكتفيتُ بالرد عليه فيما سوف أورده بعد قليل ، إلا أنك ياصديقي قد وقعت في إشكال كبير آخر ، وهكذا فأنتم لاتجيبون على مهلكة وهابية ، إلا بإيراد أنفسكم غيرها من المهالك! ولكنّ الدفاع عن الشيخ يقتضي ذلك! فإنا لله وإنا إليه راجعون

تقول ياصديقي: (وهذا الإيمان بالربوبية هو إيمان إجمالي حكاه الله عز وجل فلايمكن نقضه بدخول في تفاصيل الإيمان بالربوبية.)

انتهى كلامك!

قلت: آ الآن؟ أصبحنا ندافع عن إيمان كفار قريش!! ونعتذر إليهم ، ونلتمس لهم الأعذار ، ونزلل لهم سبل النجاة حتى ننقذ الشيخ مما أورط نفسه وطائفته فيه من بعده؟

أوليس عوام المسلمين من خصومكم من الصوفية أولى منكم بهذه الدفاعات؟ التي تناسب التقليد ، ولاتثبت حين تتعرض للأخذ والرد ، والتحقيق الحقيق فضلاً عن التدقيق الدقيق؟

فأين الولاء والبراء إذن؟

وأين ماصدعت به الوهابية رؤوسنا من وجوب عداوة المشركين؟

أم إن نصرة المذهب تقتضي ذلك؟

أقول وبكل ثقة:

بل كان كفار قريش أكفر بالله من كل مايتوهم شيخكم وتقلدونه في أوهامه نسجاً على منواله! وذلك على النحو التالي:

1. قد أوضحتُ في موضوعي التفريق بين الخالقية التي هي جزء من الربوبية ، وبين الربوبية التي هم أشمل وأعم منها بكثير! (وأنت لم تجب على هذه الجزئية ولا أظنك تجيب)

2. ثم كتبتُ الأدلة الواضحة القاطعة في أنّ أفعال الرب التي جحدها المشركون (الفصل الثاني – من الباب الثاني) ويبدو أنك لم تقرأه ورغم هذا انطلقت لتقول في تجاسر عجيب: (القرآن الكريم أثبت ذلك)!! فأين أنت من الآيات التي أوردتها أنا لك ولغيرك في هذا الباب؟ (لا أظنك تجيب أيضاً)

3. أما استدلالكم بـ (قول المشركين) الذي جعلتموه دليلاً على توحيد الخالقية (وليس الربوبية) فباطل أيضاً من وجوه

فأما الأول: فلأنكم تجعلون نظير هذا القول المجرد من النصارى موجباً لكفرهم! فحين يكون مجرد قول النصارى (الله ثالث ثلاثة) موجباً لكفرهم ، ويكون قول المشركين (خلقهن الله) موجباً لإيمانهم (هذا لفظك أنت بالمناسبة) ، فكيف يكون قول المؤمنين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) غير موجب لإيمانهم هم أيضاً؟ (يا أخي اعتبرهم زي كفار قريش!)

تراها معضلة؟؟ أليس كذلك؟ أترك لك حلها ، ولست أظنك تفعل!

وأما الثاني: فلو كان قولهم المجرد (خلقهن الله) يثبت إيمانهم بخالقيته ، لثبت بنظير هذا الإيمان المزعوم لكل قائل اعتقاده ولو كانت كل أفعاله تناقض ذلك الاعتقاد!

لكنهم جحدوا قدرة الله على إعادة إحيائهم بعد الموت (أتزعم يامحمد أن ربك يستطيع أن يحيي هذه بعد موتها) فأيهما أعظم؟ خلق السماوات والأرض؟ أم إحياء الأجساد بعد موتها؟ وهل يعجز من خلق الكائنات كلها من العدم ، أن يعيد بعثها وإحياءها (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)

فكيف يؤمنون بخلقه السماء! ثم هم يجحدون قدرته على إحيائهم؟ (يأتي جوابها في الثالث)

واما الثالث: فهذا القول منهم غير مسلم لهم به من الأصل!

وهم ما قالوه إلا ليستبقوا به معارضة كل معارض! فكما أسكت سيدنا إبراهيم الذي حاجة في ربه حين أجابه (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فاءت بها من المغرب)

وهم يعلمون على وجه اليقين أن أصنامهم عاجزة عن تغيير شئ في نظام الكون! بل عن تحريك ذرة هواء من مكانها لغير ذلك المكان ، فإنما صرحوا تصريحاً يخالف اعتقادهم المستقر في قلوبهم.

ولاتغني الأقوال المجردة عن الأفعال والاعتقادات شيئاً ، ويظهر هذا من سياق الآيات الكريمة (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) .. (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) .. (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)

الخلاصة: قد نقضنا لكم زعم شيخكم أنهم آمنوا بتوحيد الربوبية ، لأنكم ظننتم الربوبية خالقية!!

ثم نقضنا لكم زعمه أنهم آمنوا حتى بتوحيد الخالقية ، أيضاً !

فلم يبق لكم تحت هذا الباب من حجة تحتجون بها في باب الدفاع عنهم ، وللانتصار له ، والحمد لله رب العالمين

المعارضة الثالثة: قال المعارض:

إن كتاب "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" والذي يكفّر فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب غالب المسلمين .. ليس من تأليفه !!

وجوابي عليه مايلي:

قلت: أما عبارته التكفيرية الشنيعة (الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر هو دين غالب الناس وأنه الشرك بالله) .. وغيرها من العبارات

فكلامه هذا تتداولونه أنتم في كل مواقعكم ومنتدياتكم وتثنون عليه!

وإلا فادخل على (جوجل) واكتب عبارة (جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب عما يقاتل عليه ويكفر به) وستجد ماترومه عينك! ويشنف آذانك!

هذا وللشيخ ابن عثيمين كتاب إسمه (شرح كشف الشبهات والأصول الستة) ، وقد اورد فيه هذا الكلام وشرحه! (صفحة 47)

(اللطيف فعلاً أن الشيخ ابن عثيمين أورد هذا الكلام ليعارض به قول من اتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه لايعذر الناس بالجهل! فأورد مايدل على تكفيره أكثر المسلمين!!)

وهكذا تفعل العصبية للرجال بالرجال! وهكذا يفعل الوهابيون بأنفسهم لأن نصرة شيخهم –على أوابده– تقتضي منهم ذلك ، فلايخرج الواحد منهم من مطبّ! إلا وهو يوقع نفسه في حفرة سحيقة.

وذلك فضلاً عن عشرات الكتب الأخرى التي تورد نفس الكلام المنسوب لإمام مدرستكم وتشرحه ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(إمام التوحيد محمد بن عبد الوهاب) وقد راجعه الشيخ ابن باز ، (والعبارة في الصفحة 152 فراجعها)

وكتاب (مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام) (ألجزء الأول صفحة 211)

وقد قدّم لهذا الكتاب وزير الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية!

فإن كان كل هؤلاء يكذبون على الشيخ ، فمن أنت؟؟

أم إنك أعلم بالشيخ محمد ابن عبد الوهاب من ابن عثيمين وابن باز ومن سائر مشايخ مدرستكم؟؟

الباب السادس: الأخطاء العشرة التي وقع فيها الأستاذ صالح إبراهيم في أجوبته على بحثي

سوف أضرب الذكر صفحاً عن تجاوزات الأخ صالح إبراهيم في حقي ، وعدم التزامه بما دعوته إليه في بداية حوارنا وكان قد وافقني عليه من ضرورة لزوم أدب الحوار والجدال بالتي هي أحسن ، ولكنه خالف وعده وراح يكيل الشتائم ، ويقوم بتوظيف الآيات القرآنية التي قيلت في شأن المنافقين والكفار ليسقطها على إخوانه المسلمين شأنه في ذلك شأن أكثر الوهابيين!

لكني أتجاوز عن كل ذلك رغبة مني في وصول ما أظن أنه الحق في تلك المسألة الشائكة .. لأدلف مباشرة إلى استكمال حوارنا بالجواب على أبرز الإشكالات التي أوردها في نقده لبحثي ، فالله المستعان وعليه التكلان.

1- في سجود الملائكة لآدم عليه السلام وتحرير معنى (العبادة) .. ومفهوم (الشرك)

كان كلامي مايلي: "أما الأول: فلو كان السجود المجرد عبادةً كما ظننت .. لكان لازم قولك أنّ الله يأمر بعبادة غيره !! وهو ممتنع" انتهى كلامي

فردّ الأخ صالح إبراهيم قائلاً: "وهذه حجة ظاهرة البطلان فسجود الملائكة لآدم كان ((عبادة بلا شك)) ولكنه كان ((عبادة لله)) لا شركا لأن سجودهم له إنما كان انقيادا وطاعة وخضوعا وتعظيما لله عز وجل لا للمخلوق وإنما صرف السجود لآدم عن كونه شركا أنه نم عن تمام الخضوع والانقياد لله عز وجل. فمثله كمثل تقبيل الحجر الأسود طاعة لله وانقيادا مع أن العقل لا يستحسنه, وأما عباد القبور ففيم سجودهم للميت واستغاثتهم به؟ أهو طاعة لله عز وجل أم معصية له؟ إنما هي طاعة للشيطان الذي أوحى إليهم تلك البدعة المنكرة وزينها لهم حتى صارت لهم دينا ينافحون عنه ويقاتلون في سبيله" انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: بل اتفق المسلمون أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة أصلاً .. وشأنه شأن سجود إخوة يوسف له

قال الطبري –رحمه الله– في جامع البيان في تأويل آي القرآن (546/1) : "وكان سجود الملائكة لآدم تكرمةً لآدم وطاعة لله".

وقال القرطبي –رحمه الله– في تفسيره (436/1) : "واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة".

وقال البغوي –رحمه الله– في معالم التنزيل (81/1) : "الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة، وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة ، كسجود إخوة يوسف له".

وقال ابن كثير –رحمه الله– فقال (130/1) : "والأظهر أن القول الأول أولى، والسجدة لآدم إكراما وإعظاما واحتراما وسلاما، وهي طاعة لله عز وجل؛ لأنها امتثال لأمره تعالى، وقد قواه الرازي في تفسيره".

وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله: (اتفقت الأمة على أن السجود لآدم عليه السلام لم يكن سجود عبادة)

وقال الفخر الرازي رحمه الله: (أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة)

قلت: فهؤلاء جميعاً مجمعون أنه كان سجود ((طاعة)) لأمر الله عز وجل .. و ((تكريم)) لآدم عليه السلام .. أما مقولة الأخ صالح والتي تفرد بها دوناً عن سائر المسلمين (أنه سجود عبادة .. لكنها عبادة لله عز وجل لا لآدم) .. فهو لايضيف شيئاً أصلاً! وإلا فكل أمرٍ من الله تعالى يكون عبادة له (بالمعنى الواسع للعبادة) لكنّ صرفها لغيره لايصبح شركاً إلا إذا قصد الصارف نية العبادة لغيره!

ثانياً: لعلّ الصوفي (يصفه الأخ صالح بعابد القبر!!) الذي يسجد عند القبر يقول عين قول الأخ صالح .. سجودي عبادة لله تعالى وليس للقبر ، فإن قال الأخ صالح: "لكنّ الله لم يأمره بالسجود للقبر بينما أمر الملائكة بالسجود لآدم" .. لقيل له: فهذا ذهول منك عن قولي "فلو كان السجود ((المجرد)) عبادةً كما ظننت .. لكان لازم قولك أن الله يأمر بعبادة غيره" انتهى .. بل الأخ صالح يقرر فعلاً أن الله يأمر بعبادة غيره حين يقرر أن كل سجود لغير الله شرك .. وإنما صرفه عن كونه شركاً أن الله هو الذي أمر به!! فهل الله يأمر بالشرك ياأهل العقول؟؟

ثالثاً: ثم يعود الأخ صالح إبراهيم ليقول في تجاسره المعتاد: " فمثله كمثل تقبيل الحجر الأسود طاعة لله وانقيادا مع أن العقل لا يستحسنه "!! انتهى كلامه وهو أدل على نقيض حجته من وجهين: فأما الأول: فتقبيل الحجر الأسود ليس كالسجود لغير الله من أي وجه!! فإذا كان العقل لايستحسن تقبيل حجر .. فإنه لايستوحش السجود ولو لبشر!! والنهي عن السجود لغير الله إنما كان بمستند الشرع لا بمستند العقل! فأما الندب إلى تقبيل الحجر الأسود فهو بمستند الشرع لا بمستند العقل! وأما الثاني: فتقبيل الحجر الأسود عبادةٌ كما هو معلومٌ ومتفقٌ عليه بيني وبين الأخ صالح ، فأما وجه الخلاف: فلازم استشهاده بتقبيل الحجر الأسود في هذا الباب أن تقبيل الجماد (الذي هو عبادة في حال الحجر الأسود) يكون شركاً إذا صرف لغير الله! فهل إذا طلبت مني زوجتي أن أقبل شجرةً .. أفأكون قد وقعت بهذا في الشرك؟؟ إنه والله لمما تضحك منه الثكلى!! وإلا فعقلاء المسلمين يعلمون أنه إذا طلب بشرٌ من غيره أن يقبل جماداً ، فلايكون ذلك التقبيل عبادة تقتضي الشرك ممن وقع منه هذا التقبيل قياساً على تقبيل المسلمين للحجر الأسود! إلا إذا كان الفاعل قاصداً للشرك كما أسلفت

رابعاً: ذهل الأخ صالح إبراهيم عن كلام العلامة الشوكاني حين قال الشوكاني: "فلابد من تقييده بأن يكون سجوده هذا قاصداً لربوبية من سجد له (....) وأما إذا لم يقصد إلا مجرد التعظيم (....) فليس هذا من الكفر في شئ" انتهى كلامه

فهذا هو القيد الذي وضعه الشوكاني وغيره من الاكابر في تعريف معنى العبادة وفي بيان الشرك (قيد القصد) فما لم يقصد الفاعل ربوبية من أتاه بفعل يفهم منه غاية الذل والخضوع ، فلايكون شئ من ذلك عبادة أصلاً ليكون صرفه لغير الله شركاً! وهو ما أوقع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كل ترهاته وأباطيله! قصوره في فهم معنى العبادة كما

أسلفت في كلامي الأول.

أما الأخ صالح إبراهيم ، فقد فهم من كلام الشوكاني أن الفعل نفسه شرك!! ولكنّه (أي: الأخ صالح) قد تورع في إيقاع الكفر عليه لجهله! وهو ذهول تامٌ منه عن الفرق بين الكفر .. وبين التكفير!! فالأخ صالح يظنّ أن الفعل ذاته كفر! ولكنه يمتنع من تكفير الفاعل! وهو خلاف كلام الشوكاني الذي قرر أن الفعل ليس من الكفر في شئ .. فضلاً عن كونه ينسف كل ماسطره وسوده الأخ صالح في دفاعه عن شيخه ابن عبد الوهاب الذي اتهم خصومه بالشرك (شرك الأعيان وليس شرك الأنواع كما يتوهم الأخ صالح) .. وكان يصفهم بـ "مشركي زمننا" وبـ "أعداء التوحيد".. وهو وصف للأشخاص .. وليس للأفعال! ولم يقل إن أفعالهم فقط شرك وأنه يتوقف في تكفيرهم لجهلهم! كما يحاول الأخ صالح دفع ماليس مدفوعاً عنه.

2- في تكفير الشيخ محمد بن عبد الوهاب للإمام الفخر الرازي –رحمه الله–

كان كلامي مايلي: "المثال التاسع: تكفيره الإمام الفخر الرازي صاحب التفسير!! (الدرر 72/10)" انتهى كلامي

فرد الأخ صالح إبراهيم قائلاً: "وهذا تدليس منك ، إذ أن الكلام لذي نقلته إنما هو ناقل له عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، فابن عبدالوهاب فيه متابع لابن تيمية ، فإن أردت أن تحمل ، فاحمل على ابن تيمية إن كنت تجرؤ على ذلك" انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: لم يستطع الأخ صالح أن ينفي وقوع ابن عبد الوهاب في تكفير الرازي! بل أثبت متابعته فيه لابن تيمية .. وأنا أسأل جمهور العقلاء: هل متابعة ابن عبد الوهاب لشيخه ابن تيمية على تكفير الرازي يبرئ ابن عبد الوهاب؟؟ بل يكون ابن عبد الوهاب بريئاً إذا خالف ابن تيمية .. لكنه كان يحتج برأي ابن تيمية على خصمه أحمد بن عبد الكريم (توقفّ هذا الأخير في تكفير الأعيان المسلمين) .. لكنّ التكفيري المهووس ابن عبد الوهاب رفض ذلك التوقف من خصمه واحتج عليه بكلام ابن تيمية في تكفير الرازي !! ليس هذا فحسب ، بل قال بصريح العبارة: "وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة" وهو ابتذالٌ معتادٌ منه ومن طائفته للإجماع! الذي يتبين عند التحقيق أنه ليس سوى رأي واحدٍ أو اثنين!

ثانياً: يبدو أن الأخ صالح إبراهيم يدافع عن شيخه ابن عبد الوهاب ولم يقرأ له شيئاً !! وإلا فماذا يقول في هذه الجملة الشنيعة التي قالها لخصمه أحمد بن عبد الكريم في ثنايا رسالته له (وأنا أنصح القراء بالرجوع لتلك الرسالة في كتاب الدرر السنية!! الجزء العاشر من صفحة 63 إلى صفحة 74 ففيها من التكفير والخارجية مايشيب من هوله الولدان!! .. يقول شيخه ابن عبد الوهاب: "فانظر كلامه (يقصد ابن تيمية) في التفرقة بين المقالات الخفية ، وبين ما نحن فيه ، في كفر المعين ، وتأمل تكفيره رؤوسهم ، ((فلانا وفلانا بأعيانهم)) ، ((وردتهم ردة صريحة)) ، وتأمل تصريحه بحكاية ((الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام)) ، مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة" انتهى كلام ابن عبد الوهاب ، والأقواس من عندي .. وأترك الحكم للمنصفين .. إذا كان ثمة إنصاف!

ثالثاً: لازال الأخ صالح يتجاسر ويستدل بما لاحجة له به! ويظهر ذلك في قوله " فاحمل على ابن تيمية إن كنت تجرؤ على ذلك"!! وهو مما تضحك منه الثكلى! فهل ظننتني يا أخ صالح ممن يمنعه توقيره لابن تيمية (كأحد علماء المسلمين) من أن أخطئه في تكفيره للإمام الرازي؟؟ تقول العرب: لايكن ظنك بغيرك كعلمك من نفسك!! وأنا أقول لك –وبكل ثقة-: بل أخطأ الشيخ ابن تيمية خطأً شنيعاً (تراجع عنه بعدها) .. ووقع في تكفير الأعيان .. وكفّر الإمام الرازي وهذا من طوامه المعروفة ، ولايعرف الحق بالرجال! وإنما يعرف الرجال بالحق.

رابعاً: في الصفحة 13 من رد الأخ صالح إبراهيم على بحثي يقول: "وأخيرا بعد كل هذه المقدمة الطويلة السخيفة وصلنا إلى بيت القصيد. فالتهمة محل النظر هي أن ابن عبدالوهاب كان يكفر "المسلمين" وتحتاج هنا لأن تقيم الدليل على أن من كفرهم كانوا مسلمين (!!!) تكفير أعيان فعليك أن تذكر أسماء من كفرهم ونص كلامه الذي صرح فيه بكفرهم." انتهى كلامه.
وجوابي عليه: هل عرفت الآن يا أخ صالح؟؟ أم أنك لازلت ذاهلاً عن معرفة الحق ، ورؤية الحقيقة؟؟ أرجو أن تجيب! ولا أظنك تفعل!

3- في التفريق بين سلطان الدولة .. وسلطان الدعوة!!

كان سؤالي في بحثي عن قتال الشيخ محمد بن عبد الوهاب لغيره بقولي: "فبأي سلطان قاتل الناس"؟؟ انتهى كلامي
فردّ الأخ صالح إبراهيم قائلاً : "فإن قلنا تنزلا أنه قاتل الناس بغير سلطان فإنه يكون بذلك باغيا ولا يحتج بذلك على أنه كان تكفيريا". انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: أثبت الاخ صالح إبراهيم أن شيخه قد قاتل الناس بغير سلطان!! ولكنّ الأخ صالح أراد أن يجمّل كلامه باستداركه حين قال "تنزلاً"! فكأني به وقد جعل هذا الرأي مجرد احتمال (على فرض وجود احتمالات أخرى) قد يلتمس بأيها العذر لشيخه!والواقع أن شيخه غير معذور لا في التكفير (الذي أثبتناه) ولا في القتال .. وأنه ليس سوى جاهل مهووس بالتكفير .. وخارجي مهموم بالقتل لا أكثر!!

ثانياً: أما البغي .. فتلك صفةٌ أخرى أشكرك على وسم شيخك بها .. ويكفيك عاراً وشناراً أن تدافع عن باغٍ معتدٍ في أرض الله بغير الحق!

ثالثاً: أما قول الأخ صالح وهو يوجه خطابه لي: وتخلط في الأمر خلطا شنيعا وكأن الإمارة لا تقوم إلا ببيعة عامة من كل جماهير الأمة! انتهى كلامه! فتعليقي عليه: أنا أتحدث عن الإمارة الجزئية وأما أنك لاتفهم كلامي (فضلاً عن كلام شيخك) .. فهو أمر لاحيلة لي فيه!

4- في عدم تفريق الأخ صالح إبراهيم بين البدع وبين الكفر الذي ينقل من الملة

كان كلامي مايلي: "وهي خطيئة منهجية فاحشة!! فبها استحلت الدماء ، وانتهكت الأعراض ، وانقسمت الأمة انقساماً كبيراً بسبب ما أحدثه الشيخ وماوقع فيه من مزالق!" انتهى كلامي فرد الأخ صالح إبراهيم قائلاً: "إنما انقسمت الأمة لأن بعض أهل العلم لم تستثره البدع المنكرة ليقوم فينهى عنها العوام ولكن ثارت ثائرته عندما قام آخر ينهى العوام فانبرى يسوغ للعوام منكرهم وينافح عن الباطل, ولا حول ولا قوة إلا بالله" انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: لايكاد الأخ صالح إبراهيم يرى في الأمة بقضها وقضيضها سوى غلاة الصوفية وجهال المسلمين ممن وقعوا في البدع المنكرة في مقابل خصومهم ، وكأنّ الأمة قد اختزلت وتضاءلت وتقزمت فلم يعد فيها سوى الغلاة والجهال على جانب ، ثم التكفيريون الخارجيون على الجانب الآخر! والواقع أن الأمة أكبر بكثير من هذين التيارين الذين أعطبهما سوء الفهم!

ثانياً: يتصور الأخ صالح أن الانقسام الذي وقع في الأمة .. وأن استحلال دماء أبنائها .. إنما يرجع لسكوت بعض أهل العلم عن وجود البدع المنكرة!! وثورتهم على من قام بنهى العوام عنها!! وهو ذهول تام عن محل النزاع! فمحل نزاعنا ليس في كون ماتقول "بدعاً منكرة" وهي كذلك .. بل في كونكم تصفونها بأنها "كفر ينقل من ملة الإسلام"!! والواقع أن من ذكرت من أهل العلم إنما يضع تلك البدع في حجمها الحقيقي ، فيسميها بدعاً منكرة لايقرها الإسلام .. ولكنه لايسميها شركاً كما فعل شيخكم وتابعه عليه مريدوه من بعده!

ثالثاً: يستكمل الأخ صالح إبراهيم وهمه وهو يقررّ أن ذلك السكوت من أهل العلم عن ما قرر هو أنه بدعٌ منكرة هو سبب انقسام الأمة!! (ويُظهِرُ ذلكَ مقدار اضطرابه! فهي تارة بدع ..!! وتارة كفر ..!! والأيام حبلى لاندري ماتضع!!) وكأنه ينتظر من أهل العلم أن يتابعوا شيخه ابن عبد الوهاب على تكفيره للمسلمين!! وإلا وقع الانقسام!! وهو تكريس للاستبداد الديني ، والغلو الذي ليس بعده غلو! فأقول له وبكل ثقة: بل علماء الأمة يخالفون مدرستكم التكفيرية المهووسة بكل حسم وحزم ، ويأبون تكفير جماهير المسلمين .. ولن يتابعوكم على هذا الغيّ مهما رميتموهم من جعبة سهامكم!

رابعاً: الذي يتوسل بوليٍ أو حتى يستغيث به ، هو يفعل هذا لأنه يظن فيه الصلاح ويعتقد أن الله تعالى قد اختصه بخصائص لم يختص بها سائر عباده (الكرامات) وذلك في كشف الكربات ورفع البلايا ودفع الملمّات ، ولايعدّ شيءٌ من ذلك شركاً مالم يكن يعتقد فيه استقلال المشيئة والإرادة عن الله تعالى ، وإلا فالمسيح بن مريم كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، والنصراني والمسلم متفقان على هذا ، فكيف كان المسلم موحداً والنصراني مشركاً؟ لأن النصراني يعتقد الربوبية في المسيح وأنه فعل ذلك بإرادته المستقلة عن الآب ، ويبطله قول الله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء:22) وذلك لعلة تعارض الإرادات فيفسد الكون كله ، ثم يبطله قول المسيح نفسه عن نفسه: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 5 : 30) ، أما المسلم فيعتقد أنّ المسيح فعل هذا بإرادة الله ومشيئته وفيه قوله تعالى "بإذن الله" فهي من معجزاته التي منحه الله إياها بإذنه ومشيئته .. فأما المتوسل بالميت أو المستغيث به ، فيعتقد فيه الكرامة كما يعتقد في النبي المعجزة ، فيسأله الحاجات ، وأقصى مايمكن أن يقال في ذلك أن ذلك التصور بدعةٌ لادليل عليها من الكتاب أو السنة .. وليس شركاً كما توهمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من بعده ممن لم يتحروا العلم!

5- في رسم صورة براقة لمشركي مكة بقلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب!

كان كلامي مايلي: "ما أروع صورة المشركين! فهم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً!!" انتهى كلامي

فردّ الأخ صالح إبراهيم قائلاً: "وهذا هو التدليس بعينه! وإنما ذكر ابن عبد الوهاب تلك الأعمال على سبيل الذم لا على سبيل المدح. فمن ظن أن العبادة والحج والصدقة وذكر الله تنجي صاحبها مع وقوعه في الشرك الأكبر فليس من أهل السنة قولا واحدا". انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: لو أنّ الأخ صالح إبراهيم قرأ بحثي كاملاً وبغير تسرع .. لوجد هذه الجملة ماثلة أمام ناظريه في السطر الرابع .. الفقرة الثالثة .. الموضوع الثاني .. حيث أقول: "وهو لايذكر ذلك المديح والإطراء حباً فيهم .. ولكنه تمهيد لإثبات وجود تشابه بينهم وبين مسلمي عصره!!" فيقول الأخ صالح: " فتفهم أنت من ذلك أنه يقول إنهم كانوا صالحين! بئس الفهم" انتهى كلامه! فياأيها العقلاء .. أينا الأحق بتهمة صالح "بئس الفهم" ؟؟؟

ثانياً: الواقع أن الشيخ معطوب بداء التكفير كما أثبتت .. ولذا فهو ينوع أساليبه في التمهيد لفكرته ، والتأسيس لها ، فحين يتوقع معارضة غيره له بقولهم: لكنّ المسلمين الذين تريد تكفيرهم يفعلون الخير فهم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله .. فكيف تتجاسر على تكفيرهم؟؟" فيستبق هو تلك المعارضة المنتظرة حين يزعم: قد كان المشركون الأوائل يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا .. (!!) ورغم هذا فقد كفّرهم القرآن الكريم! فأما إذا أراد الشيخ أن يؤسس للتكفير بأسلوب آخر .. جاء بمسائل الجاهلية كما في كتابه المعروف فعددها وتوسع فيها .. ليقيس المسلمين ممن يريد تكفيرهم عليها!! فإذا كان هناك من خيرٍ يفعله خصومه من المسلمين .. وصف المشركين بنظيره ليساوي بينهم وبين خصومه فيسهل على العوام ابتلاع فكرة تكفيرهم! وإذا كان هناك من شر فعله المشركون .. وصف خصومه المسلمين بنظيره ليساوي أيضاً بينهم وبين المشركين فيسهل على العوام ابتلاع فكرة تكفيرهم! وهكذا يفعل هوى

التكفير بكل مهووس! فيحاول النبش بكل طريقة في كل مامن شأنه أن يثبت دعواه المنقوضة وحجته الداحضة!

ثالثاً: يقرر الأخ صالح إبراهيم –في تجاسره المعتاد– أنّ العبادة والحج والصدقة وذكر الله .. أنّ كل هذا لاينجي صاحبه!! متى وقع في الشرك الأكبر (والشرك الأكبر عنده أن يطوف المسلم بقبر ولي أو يذبح ذبيحة ليهديه ثوابها) لكنّه رغم عبادته وحجه وتصدقه وذكره لله! فإنه غير ناجٍ عند الاخ صالح إبراهيم وطائفته الوهابية التكفيرية! فهل في الهوس بتكفير المسلمين أشنع من هذا ؟؟

6- في التفريق بين الربوبية ، والخالقية! وفي نسبة ابن عبد الوهاب مشركي مكة لتوحيد الربوبية!

كان كلامي مايلي: "وماحمله على كل ذلك الخلط والخبط .. إلا اضطرابه في فهم معنى الربوبية" انتهى كلامي

فردّ الأخ صالح إبراهيم قائلاً: "فأنت ومخالفك سواء في فهم أن كفار قريش أقروا بالله وحده ربا خالقا ورازقا ومدبرا ومنجيا وهم مع ذلك مشركون وهذه هي الحقيقة التي تتهرب من إقرارها!" انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: أما استدلالك بقول المشركين "خلقهن الله" والذي تجعلونه دليلاً على إقرار مشركي قريش بربوبية الله تعالى (رغم مافيه من الغلط لأن الربوبية أعمّ وأوسع كثيراً من الخالقية كما ذكرت آنفاً في بحثي) فهذا كلام غالط منكم ومنهم! لأنهم ما قالوه إلا ليستبقوا به معارضة كل معارض!! فكما أسكت سيدنا إبراهيم الذي حاجَّه في ربه حين أجابه: (فإن

الله يأتي بالشمس من المشرق فاءت بها من المغرب) وهم قد علموا على وجه اليقين أن أصنامهم عاجزة عن تغيير شئ في نظام الكون!! بل عن تحريك ذرة هواء من مكانها لغير ذلك المكان .. وإنما صرحوا تصريحاً يخالف اعتقادهم المستقر في قلوبهم .. والأقوال المجردة لاتغني عن الأفعال والاعتقادات شيئاً .. ويظهر هذا من سياق الآيات الكريمة (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) .. (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) .. (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) .. أي: لو كان اعتقادكم هذا اعتقاداً حقيقياً .. لحملكم ذلك الاعتقاد على تقوى الله! ولكنكم لاتفعلون لأنّ اعتقادكم بخلاف ذلك ، وإنما هو تصريحٌ مجردٌ بألسنتكم للزوم استباق معارضة الغير.

ثانياً: أما شرك كفار قريش –في باب الربوبية– فلم يكن مقصوراً على ماتتوهمه أنت وشيخك من اتخاذ الوسطاء والشفعاء .. بل قد أنكر كفار قريش البعث بعد الموت! وهو الأصل الأصيل الذي قامت عليه الشرائع الإلهية جميعاً.

ثالثاً: وأما الآيات الكريمة التي تتمسكون بتفسيرها للتدليل على أنّ مشركي مكة فضلاً عن مشركي الأمم كانوا يوحدون الله في ربوبيته وهي قوله تعالى: "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ" صدق الله العظيم (الزمر: 3) ، فهو أدلّ على نقيض حجتكم من وجوه: فأما الأول: فالآيات الكريمة صرّحت بذكر العبادة ، فهم كانوا يعبدون هذه الآلهة معتقدين فيها الربوبية (استقلال المشيئة) كما تقدم في فصل معنى العبادة ، وأما الثاني: فالله تعالى يقول على ألسنتهم "إلا ليقربونا" أي: الآلهة ، ولم يقل: "إلا لتقربنا" أي: العبادة! فهم اعتقدوا أن الآلهة تقربهم من الله ، وربما ظنوا أن لهذه الآلهة سيداً كبيراً لايرونه هم ، فعبدوها معتقدين تصرفها في الكون كما تثبته نصوص أخرى ، ثم لتقربهم من الله تعالى كما في هذه الآية الكريمة ، فهم آلهة مثله ، وإن كان له شأن أعظم من شأنهم ، فسبحان الله عما يصفون. وأما الثالث: فلمعرفة مراد الله تعالى من آياته فينبغي الجمع بين النصوص القرآنية وبين بعضها البعض ، وبالجمع بين هذه الآية

الكريمة والآيات الكريمة الأخرى التي تثبت وقوع الشرك منهم ومن غيرهم في ربوبية الله واعتقادهم في آلهتهم أنها تنفع وتضر وتعز وتذل وتخفض وترفع كما كانت عادٌ تقول لنبي الله هود –عليه السلام– "إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ" (هود :54) فيتضح أنهم ماكانوا يوحدون الله في ربوبيته كما توهمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

7– في حمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشركائه السلاح لقتال المسلمين:

كان كلامي مايلي: فإن أسوأ مافيه –حقاً– دعواه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل مشركي مكة على الشرك!! وكأنه يذهل عن حقيقة أنهم هم الذين ناصبوا النبي صلى الله عليه وسلم العداء! انتهى كلامي

فردّ الأخ صالح إبراهيم قائلاً: "وهذا من سوء تأويلك لكلام ابن عبد الوهاب, فهو لم يدع لمقاتلة مشركي زمانه لأجل شركهم ، بل دعاهم إلى التوحيد فكان منهم ما كان من مناصبته العداء كما كان من مشركي الجاهلية الأولى تجاه النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته للتوحيد." انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: ذهل الأخ صالح إبراهيم تمام الذهول عما أوردته في بحثي المتقدم تحت الباب الثالث ، الفصل الأول في حديث شيخه ابن عبد الوهاب عن الأنواع الأربعة لأعدائه حين قال بكل وضوح وحسم " فهو كافر، نقاتله بكفره"!! ولست أدري أيهما نصدق! الأخ صالح إبراهيم وهو يقول :فهو لم يدع لمقاتلة مشركي زمانه! أم شيخه الذي لم يقرأ له شيئاً وهو يقول "نقاتله بكفره"!!!

ثانياً: بهذا التفسير المذهل! أرجع الأخ صالح إبراهيم اعتداء شيخه محمد بن عبد الوهاب على المسلمين ، واستحلاله لدمائهم! على أساس أنهم هم الذين ناصبوه العداء (كما فعل مشركو مكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم)!! وهو بهذا التفسير الغالط يذهل عن حقيقة التحالف الذي تم بينه وبين محمد بن سعود (أمير الدرعية) وولده عبد العزيز ، والذي يقضي بمخاطبة قبائل نجد وماحولها للدخول في سلطانهما (كان يسميه أحياناً دين الإسلام!!)، وترك ماهم عليه من الشرك!! فإن لم يفعلوا قاتلهم لحملهم على مفاهيمه وتصوراته التي يخالها الإسلام!

ثالثاً: من المعلوم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي بدء بمناصبة المسلمين العداء ، وذلك حين ضربه زلزال التكفير فقرر أنه قبل تلك اللحظة لم يكن يعرف دين الإسلام!! ولا معنى لا إله إلا الله ، ومما لاشك فيه أن تكفير المسلمين من أخص خصائص منابزتهم العداء! إلا لو كان يتوقع من المسلمين أن يسالموه وهو يرميهم بالكفر والشرك ويخاطبهم بأكثر الأساليب عدوانية وتجهماً وإذكاءاً لنيران الكراهية والمنافرة ، فقد كان هو البادئ ، فكان ردهم عليه باتهامه بالخارجية رداً يأتي في سياق منطقي ، ولست أدري كيف يساوي الأخ صالح إبراهيم بين البادئ والمكافي! وكيف يجعل صاحب السيئة الأولى (الجريمة الأصلية) مساوياً لصاحب السيئة الثانية! والله تعالى يقول: "ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب" والقصاص إنما يترتب على ارتكاب الجريمة ، فيصير زجراً للمجرم وحفظاً للمجتمع من شروره وأباطيله!

رابعاً: القياس على معاداة مشركي قريش للرسول صلى الله عليه وسلم من أفسد الأقيسة وأبطلها ، لأن الفصل بين شخص الرسول وبين الرسالة ممتنعٌ أصلاً ، فهو الذي قام ببلاغها

للناس عن رب العالمين ، وهذا لايتحقق أبداً في حق بشرٍ من بعده ، وعليه فمعاداة الناس شخص محمد بن عبد الوهاب –أو غيره– ليست معاداةً للإسلام كما تظنّ! وإنما رفضاً لتفسيره هو للإسلام! و إلا لجاز لكل طائفة أن تحمل الناس قسراً وقهراً على فهمها للإسلام على اعتبار أنه هو الإسلام! فإذا رفض الناس منهم ذلك الفهم .. حملت الطائفة السلاح لقتال الناس! ثم يتبجحون بقولهم: "هم الذين ناصبونا العداء كما فعل مشركو مكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم!!"

خامساً: أثبتت في مطلع بحثي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان مضطرباً غاية الاضطراب في باب القتال والتكفير على نحو واضح ، والخلاصة أن سلوكه لم يكن سلوك داعية أصلاً ، وإنما طريقة مستبدٍ يسعى لحمل الناس على أفكاره ومعتقداته رغماً عنهم.

سادساً: يبدو أن الأخ صالح إبراهيم يمتطي صهوة يراعه ليدافع عن شيخه ولم يقرأ له شيئاً! وإلا فالرجل يقول في غير موضع من كتبه كما في درره السنية الجزء الأول صفحة 88: (فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، قاتلناه بالسيف والسنان)! وهو أوضح من أن يشرح!

سابعاً: أما اتخاذ المسلمات أرقاء وسبايا وهو مافعله شيخكم وأتباعه (وقد وقع مثله من داعش وأمثالها من جماعات التطرف والهوس في أيامنا هذه) فهو ناشئٌ عن فهم فاسد منهم للتشريع الإسلامي ، والحق أنّ الإسلام شرع العتق ولم يشرع الرقّ ، وليس في كتاب الله تعالى آية واحدةٌ تتعبد المسلمين باسترقاق غيرهم من الأمم ، ولافي سنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مايحضّ على اتخاذ الرقيق ، وأما في سيرته صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه ، فقد كان الرقّ يقع لضرورة عسكرية (هي ضرورة المعاملة بالمثل) حين قتال القبائل أو الأمم التي تتخذ الرقيق! ولكن الشيخ ابن عبد الوهاب وأتباعه من بعده لم يفهموا أن

تنظيم الواقع ، ليس كتشريع الأصل! وذلك لافتقادهم أثارة العلم وافتقارهم الصنعة الفقهية اللازمة للخوض في هذه المسائل الكبار.

8- في قتال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ..

كان كلامي مايلي: "فقد خاطب الله تعالى رسوله بآيات محكمة قاطعة في دلالتها لبيان مهمته الرسالية , وفي أكثر من 15 موضعاً فقال: لست عليهم بمسيطر .. ليس عليك هداهم .. ما على الرسول إلا البلاغ .. فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ (ولم يقل عليك القتال إن أعرضوا)" انتهى كلامي

فردّ الأخ صالح إبراهيم قائلاً: "ومع ذلك قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله عز وجل , وكذلك فعل أصحابه فغزو العراق وخراسان وما وراء النهر والسند والهند وغزو الشام ومصر وأفريقية وأوربا." انتهى كلامه

وجوابي عليه مايلي:

أولاً: لم يستطع الأخ صالح إبراهيم الردّ على شئ واحدٍ من إيراداتي في النقطة الثالثة من الفصل الثاني من بحثي (تصوره أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل مشركي مكة لعلة شركهم) وإنما اكتفى بقوله: " وأقول إن لكلامك وجاهة ولكن لقول غيرك أيضا وجاهة فلا يجوز التشنيع فيما يسوغ فيه الخلاف." انتهى كلامه

وهو لطيف جداً! فربما ظنّ الأخ صالح إبراهيم أننا نتحدث في أحد أبواب الطهارة فقال لي: لايجوز التشنيع فيما يسوّغ فيه الخلاف! والواقع أننا نتحدث في باب دماء المسلمين التي

سالت! وأعراضهم التي انتهكت ، ونساؤهم التي اتخذت أرقاء وسبايا! فهل هذا مما لايشنع فيه على المخالف؟؟ هل هانت عليك دماء المسلمين إلى هذا الحد؟؟ فأين أنت إذن من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لهدم الكعبة حجرا حجرا أهون من قتل المسلم)؟ وقوله: (لايزال المسلم في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً)

ثانياً: يذهل الأخ صالح إبراهيم تمام الذهول عن ما أوردته في بحثي مما يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم في قتاله للمشركين لم يكن معتدياً عليهم ولو مرةً واحدة ، بل كانوا هم المعتدين عليه وعلى إخوانه في كل مرة ، وأنه إنما اضطر للقتال رداً وليس ابتداءاً ، فمن أنكر ذلك فقد أنكر التاريخ ، وأراد أن يدافع عن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ولو من باب الطعن في التشريع الإسلامي كله ، وهكذا تفعل العصبية بأهلها!

ثالثاً: أما قياسك على الفتوحات الإسلامية فغالط من وجوه:

أما الأول: فقد كان العالم محكوماً وقتها بالإمبراطوريات الاستبدادية التي تقهر الشعوب على اعتناق دين الملوك ، فاضطر المسلمون لحمل السلاح حتى يرفعوا عن الناس بطش واستبداد تلك الأنظمة الإجرامية التي تسيطر على الناس وتحول بينهم وبين حقهم في اعتقاد مايشاءون ، فلم يكن في شئ منها اعتداء على أحد ، بل كان ذلك لهدف عظيم هو تخليص تلك الشعوب المقهورة من الاستبداد الملكي المتجبر والإمبراطوري المستكبر!

وأما الثاني: فالغزو يقوم على نهب ثروات الغير وتركهم أسرى للجهل والفقر والمرض ، فهل كان هذا حال الأندلس (على سبيل المثال لا الحصر) أم أنها كانت منارة التنوير الإسلامي حينما كانت أوروبا كلها تغط في نوم عميق وتعيش تحت وطأة استبداد الكنيسة والحكام بالشعوب! بل كان نبلاء أوروبا يرسلون أبناءهم إلى بلاد الأندلس للتعلم والدراسة فيها بعد أن جعلها المسلمون

منارة الحضارة والعلوم المختلفة.

وأما الثالث: فمن المعلوم أن إندونيسيا هي أكبر دولة في العالم من حيث تعداد السكان المسلمين ، ومن المعلوم أنها دولة لم يصل إليها جندي مسلم واحد! وهذا ردٌ قاطعٌ وحاسم على خصوم الإسلام ممن ينسبون له الانتشار بحد السيف ، وردٌ أيضاً على الغلاة من أبنائه ممن يفخرون بما يتوهمون أنه غزو للبلاد! ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً !

9- في وقوع الأخ صالح إبراهيم في مغبة تكفير المسلمين نسجاً على منوال شيخه!

أولاً: لم يرد الأخ صالح على المثال الأول .. وإنما اكتفى بالقول: أن شيخه يقصد صنفاً معيناً من الناس! وذهل تماماً عن قولي في هذ المثال حين قلت: فتأمل قوله: مع أنه لا يبغض دين الرسول ، ولا من دخل فيه ، ولا يمدح الشرك ، ولا يزينه للناس!!! فهل يفعل هذا سوى المسلم؟! فضلاً عن ذهوله التام عن قول شيخه قبلها: "فهو كافر، (((نقاتله بكفره)))"!

ثانياً: في المثال الثاني (تكفير ابن عبد الوهاب لأكثر أهل الشام) اكتفى الأخ صالح إبراهيم بقوله: أما عن "التعميم" فهو خلاف آخر في تقدير نسبة المتمسكين بالسنة في الشام في زمانه مما يجوز فيه الخطأ طالما لم يبن عليه حكم.! انتهى كلامه ، وتعليقي عليه: هل كان الكلام في التمسك بالسنة يا أخ صالح؟؟ أم في "عبادة أكثر أهل الشام للصنم الذي على قبر ابن عربي كما هو زعم شيخك؟؟ وكيف أن هذا لم يبن عليه حكم؟؟ هل تكفير عوام المسلمين واتهام أكثرهم بعبادة الأصنام وأن القلة هي التي لاتفعل! هل هذا لاينبني عليه حكم؟؟ أم إنك لهذا الحد تتعامى عن كلام شيخك؟؟ وأما استشهادك بكلامه في درره السنية!! حيث يقول: "وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبدالقادر ، والصنم

الذي على قبر أحمد البدوي ، وأمثالهما لأجل جهلهم" انتهى كلامه ، فهذا من أظهر أدلة اضطرابه وتخبطه! ولست أدري هل قال هذا قبل أن يضربه زلزال التكفير أم بعده! وهو الزلزال الذي قال عنده قولته"وأنا ذلك الوقت ، لا أعرف معنى لا إله إلا الله ، ولا أعرف دين الإسلام" انتهى كلامه!

ثالثاً: في المثال الثالث (تكفير العلامة الحنبلي سليمان ابن سحيم) .. قال الأخ صالح ابراهيم: "بل هذا هو الباطل ، فإقرار المحجوج بصحة حجة خصمه ليس شرطا لقيام الحجة ، وانظر وتدبر في قوله تعالى "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا" وإلى قوله تعالى "ما على الرسول إلا البلاغ" فالبلاغ هو إقامة الحجة ، وشروطه مفصلة في كتاب الله "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" فالبيان بلغة يفهمها المبلغ هو الشرط اللازم لإقامة الحجة ، فلا تقوم الحجة على غير عاقل ولا على من لا يفهم لغة الرسول." انتهى كلامه ، وتعليقي عليه: يعود الاخ صالح ليمارس الإسقاط في الأغلاط من جديد! وذلك بقياس إقامة شيخه الحجة على مخالفيه! بقيام الحجة الرسالية من الرسول على الكفار! وهو من أبطل الأقيسة وأفسدها لأن الفصل بين الرسول وبين الرسالة ممتنع كما أسلفت! وهو بخلاف دعوة كل داعية بعده إلى مايتصور أنه الإسلام! فإنه يمتنع في حقه أن يقول إنه قد أقام الحجة على مخالفيه! إلا إذا كان يخال نفسه نبياً ! فهذا شأن آخر

رابعاً: في المثال الرابع ، اكتفى الأخ صالح إبراهيم بالرد قائلاً: "ألا تعرف الفرق بين الصريح وبين الاستنتاج؟ إذا قلت لك: هداك الله فهل هذا تصريح مني بأنك على ضلال؟! سبحان الله أنى تؤفكون!" انتهى كلامه ، وتعليقي عليه: أن شيخه قال في رسالته لأحمد بن عبد الكريم "فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام"! ولم يقل"هداك الله" كما يتأوله الأخ صالح! والرسالة

كلها تغصّ بالتكفير وبالهوس التكفيري وأنا أحيل القارئ لمتابعتها كما أسلفت في موضع سابق ، وإلا فعرضها هنا مما يضيق به المقام ولا لزوم له.

خامساً: في المثال الخامس الذي هو تكفير ابن عبد الوهاب لأكثر المسلمين في نجد والحجاز! حيث قال الأخ صالح إبراهيم في دفاعه عن شيخه: " يقول الذي ينكر البعث أكثر ممن يقر به ، وأنت تقول يكفر المسلمين .. فبأي منطق خلعت على من ينكر البعث وصف المسلم؟!" انتهى كلامه ، وتعليقي عليه: أشهدكم يا جمهور العقلاء على هذا الفهم المقلوب من الأخ صالح! شيخه يتهم جماهير المسلمين بأنهم ينكرون البعث! وهو يعتبر اتهامه لهم حقيقة! فيحمل عليّ أنا!! فهل في التعامي عن رؤية الحقائق الواضحة أكثر من هذا؟؟ ثم يأتي الأخ صالح ليقع بنفسه في مغبة تكفير المسلمين حين يقول: "وكأن أهل الحجاز هم بالضرورة مسلمون لمجرد أنهم أهل الحجاز! وكأنك لا تدري أن من المسلمين من ارتد بعد إسلامه." انتهى كلامه! وليس لي من تعليق على كلامه: سوى أنها حمى تكفير المسلمين! واتهامهم بالردة! مع العلم بأننا نذكر في كلامنا أكثر أهل نجد والحجاز! فإن كان أكثر هؤلاء قد ارتدوا عن الإسلام كما زعم ابن عبد الوهاب ومن ورائه تلميذه المتابع له على التكفير صالح إبراهيم! فأين المسلمون إذن؟ لاشك أنهم الطائفة الوهابية لاسواها!

سادساً: في المثال السادس (تكفيره بادية نجد) حيث قال ابن عبد الوهاب إنهم كفروا بالكتاب كله!! هكذا مرة واحدة! رغم تقريره قبلها: "مع إقرارهم أن محمداً رسول الله"! فماكان من الأخ صالح إلا أن قال: " بل أقول أنك هنا تكذب بما لم تحط به علما, وحدود قدرتك على التصور أعجزتك أن تتصور من يقر بأن محمد رسول الله وفي الوقت نفسه يرفض حكمه ويقع في نواقض الإيمان.. ولو تأملت – يرحمك الله – في حال جهلة عصرنا لرأيتهم

يقرون بالشهادتين وهم مع ذلك يأبون أن يخضعوا لما أنزل الله من الأحكام" انتهى كلامه ، وتعليقي عليه أنه نسجٌ في التكفير على منوال شيخه! أما إباء بعض المسلمين الخضوع لأحكام الله! فلعلها أحكامكم أنتم وطائفتكم الوهابية! أو لعله ناشئ عن الجهل أو عن اتباع الهوى أو الخطأ في معرفة تلك الأحكام! أما استسهالك أنت لتكفيرهم بهذه الطريقة المغرقة في غلطها حين تقول: " فما بالك تأسى على حال من يصف هؤلاء الضالين بالكفر"!! انتهى كلامك ، فهو نسفٌ لكل مازعمته قبلها من أن شيخك لايكفر الأعيان بجهلهم! بل ها أنت ذا تصف الناس بالكفر! حين تزعم رفضهم الخضوع لأحكام الله!

سابعاً: في المثال السابع ، حيث يقول الأخ صالح إبراهيم تعليقاً على كلام شيخه في تكفيره لعامة المسلمين في اليمن وتهامة والحرمين والشام والعراق .."وهذا ليس تكفيرا لهم فالجهل عذر للجاهل" انتهى كلامه! وليس في التكفير أقبح من ذلك! فالأخ صالح يقرر أنهم فعلاً وقعوا في الكفر! وإنما يمنع من إنزال حكم الكفر عليهم! الجهل! .. فهكذا ترى الطائفة الوهابية المسلمين! وهكذا تتعامل معهم! ثم يندهشون من سر معاداة المسلمين لهم! واتهامهم بأنهم خوارج العصر! فهل في الخارجية أوضح أو أظهر من ذلك؟؟

ثامناً: في المثال الثامن ، حيث يقول الأخ صالح إبراهيم: " وهذا من سوء فهمك وشطط استدلالك. فإذا احتج المشركون بشيء فلا يعني أن كل من احتج به مشرك ولا يعني أن كل من خالفه مشرك! فأنى تؤفكون" انتهى كلامه ، والأخ صالح ذاهل كعادته عن كل مايكتبه شيخه! الذي يقرر أن خصومه يحتجون عليه من كتاب الله! وهو رغم هذا يصفهم بـ "المشركين"!! أما الأخ صالح فيبدو أنه في وادٍ آخر! وهو رغم هذا يتهمني أنا بسوء الفهم!! وشطط الاستدلال!! ثم يختم تعليقه بقوله "فأنى تؤفكون"!! ولاتعليق!

تاسعاً: في المثال التاسع حيث تقدم الكلام عن تكفيره للإمام الرازي المفسر في الفصل الثاني.

عاشراً: في المثال العاشر حيث يكفّر شيخه المتكلمين! فيلتمس الأخ صالح العذر له قائلاً: " أن المقصود بالمتكلمين هنا من عارضوا بكلامهم نصوص الكتاب والسنة, وليس كل من اشتغل بعلم الكلام, فالمنكرين لنصوص الكتاب والسنة لا خلاف بين أحد من أهل السنة على كفرهم." انتهى كلامه! وفيه من الأغاليط مافيه ، فضلاً عما يشي بأنه لم يقرأ شيئاً لشيخه وهو رغم هذا يتجاسر ويسود السطور في الدفاع عنه!! أولاً: يقول شيخه قبلها بصفحتين الدرر الجزء الأول صفحة 51 مانصه:"ونقلهم الإجماع: أن علم الكلام بدعة وضلالة" انتهى كلامه! ولست أدري أيهما نصدق؟ صالح وهو يقول إن الإشكال ليس في كل من اشتغل بعلم الكلام! أم شيخه الذي يزعم أن علم الكلام بدعة وضلالة! ثانياً: وأما في الصفحة السابقة مباشرة لما ذكرت ، والتي فيها كلام ابن عبد الوهاب في شأن المتكلمين فيقول: " حتى إن أئمة المتكلمين، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي .. ردوا عليهم الجواب: بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام" انتهى كلامه ، فهل الذين يردون على الفلاسفة –ياجمهور العقلاء– ويذكرون المعروف بالضرورة من دين الإسلام ينكرون نصوص الكتاب والسنة كما يزعم الأخ صالح؟؟ وكما يتوهم ابن عبد الوهاب؟؟ وأيهما نصدق؟ هو أم شيخه؟؟

حادي عشر: في المثال الأخير في هذا الباب حيث يقول الأخ صالح إبراهيم: "فإنه إذا قصد بدعاء غير الله التبرك فقد وقع في الشرك ... لأن ما يقصد عادة بالتبرك هو دعاء الله عند قبور الصالحين أو عند الروضة الشريفة ، فمثل هذا التبرك وإن كان بدعة فإنه ليس شركا"

انتهى كلامه ، وقد كان هذا في ذبه عن حياض شيخه! وهو يكفر المسلمين ممن يقصدون قبور الصالحين ، يتبركون بها ويدعون الله عندها ظناً منهم بصلاح صاحب هذا القبر ، واستجابة الدعاء عنده! وقد كان كلام شيخه قبلها فيمن يقصد القبر لايقصد إلا التبرك وهو يعلم أن الله هو الذي يضر وينفع! ولكنّ الأخ صالح –كعادته– لايقرأ شيئاً لشيخه الذي يدافع عنه!

10- في كتابات ابن غنام وابن بشر وتعليقات الأخ صالح إبراهيم على الباب الرابع

أولاً: في المثال الأول .. يكتفى الأخ صالح إبراهيم بقوله: "تدليس واضح .. المنقول لا يقول "بلاد المشركين" انتهى كلامه ، وكأنّ غزو جيوش شيخه لبلاد المسلمين من الشام إلى عمان ومن الحيرة إلى اليمن .. وهم الذين كفرّهم شيخه قبلها حين قال بكل وضوح :" بل الذي نتحقق ونعتقده: أن أهل اليمن وتهامة، والحرمين والشام والعراق، قد بلغتهم دعوتنا، وتحققوا أنا نأمر بإخلاص العبادة لله، وننكر ما عليه أكثر الناس، من الإشراك بالله" انتهى كلامه .. لكنّ صالح إبراهيم لم يلتفت إلى كلامه رغم وروده في نفس البحث الذي تطوّع للردّ عليه! ولفت نظره قولي "بلاد المشركين" ليتهمني بالتدليس! وكأنّ شيخه لم يصفها فعلاً في غير هذا الموضع بأنها بلاد المشركين!! وبأن أكثر أهلها قد وقع في الشرك!! فعلى من يضحك الأخ صالح؟؟ على الناس أم على نفسه؟؟

ثانياً: في المثال الثاني .. أليس من أقام على الشرك بالله وترك فرائض الإسلام بكافر؟ أم أنك تكفر ولا تقاتل؟ فإن قلت لا يكفر فقد كفرت (!!!) ، وإن قلت يكفر ولكن لا يقاتل ألزمت بالدليل على حرمة قتال الكافر غير معاهد." انتهى كلامه! وفيه ثلاث مغالطات: أما الأولى: فهو

يتوهم أن تكفير شيخه للمسلمين هو الأصل! فهم كفارٌ كما يراهم شيخه ، وبالتالي فإن لم أكفرهم أنا نسجاً على منوال شيخه فقد كفرت! (وهل في الاستبداد الديني أظهر من هذا؟؟ أترك الجواب للعقلاء والمنصفين) ، وأما الثانية: ففي تعليقه هذا مايناقض ويبطل قوله الآنف في الفصل السابع من هذا الباب حين قررّ أن شيخه لم يقاتل الناس على الكفر!! ثم هو يعود هنا فيقرر قتاله لهم على الكفر بل ويطالبني أنا بالدليل على حرمة قتال من ثبت كفره!! ويبدو أن الأخ صالح كتب رده هذا في أيام متفرقات! فتغيّر رأيه واضطرب في كل مرةٍ كتب فيها بحسب تغيّر حالته المزاجية!! وهكذا يفعل الهوى بصاحبه! وأما المغالطة الثالثة: فهي مطالبته لي بالدليل على حرمة قتال من لم يقاتل! رغم أنه أثبت وجاهة استدلالاتي في حرمة قتال الكافر غير المحارب (هذا بافتراض كفر هؤلاء أصلاً وهي فرضيةٌ ظاهرة البطلان) .. وصالح إبراهيم بقوله هذا يخالف قول جمهور أهل العلم ممن أثبتوا حرمة قتال من لايقاتل ولايحمل السلاح وأنا أحيل القارئ مرة أخرى لموسوعة فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي (فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة) ففيها أجوبة مفصلة عن كل مايثيره الأخ صالح من غبار .. وإلا فالمقام يضيق تماماً بالرد على هذه الشبهة المتهافتة.

ثالثاً: في المثال الثالث: أجابني الأخ صالح إبراهيم حين ذكرت تجييش الداعية!! محمد بن عبد الوهاب الجيوش لقتال المسلمين بقوله: "وأين العيب في ذلك؟ النهي عن المنكر باليد لمن استطاع هو عين الجهاد في سبيل الله." انتهى كلامه ، وفيه من المغالطات مايلي: أولاً: أن الأخ صالح يغفل شروط تغيير المنكر بالقوة ، ومنها ألا يكون هذا المنكر من الأمور المختلف فيها بل ينبغي أن يكون أمراً مجمعاً عليه ، وينقض هذا الإجماع أن شيخه كان يحتج على مخالفيه بأمور من الكتاب والسنة ، فيحتجون هم عليه بنواقضها من الكتاب والسنة أيضاً ، فإن جاز لكل طائفة تخالف غيرها أن تحمل السلاح بدعوى تغيير المنكر بالقوة! لجاز للمخالف أن يحمل السلاح

بدوره عليها ليغير مايظنه نقيض ذلك المنكر!! وهكذا تسود الفوضى وينتشر القتل والترويع بين المسلمين! فيالفرحة الأعداء! كما أن من شروط تغيير المنكر ألا يترتب عليه منكرٌ أشد منه ، أما المغالطة الثانية: أن الأخ صالح يتحدث عن تغيير المنكر باليد! بينما نحن نتحدث عن التكفير وتجييش الجيوش للقتال! فهو –كعادته في واد– والناس كلهم في واد آخر! وأما المغالطة الثالثة: ففي قوله: إن هذا عين الجهاد في سبيل الله! فهل جاهدت جيوش شيخك أعداء المسلمين؟ أم إنك تتصور تجييش الجيوش لقتال المسلمين جهاداً؟؟ فما أبأسه من جهاد تسال به دماء المسلمين ، وتنتهك به حقوقهم وتسترق به نساؤهم تحقيقاً لرغبة مهووس متخبط في فهم معنى العبادة! وفي تعريف الشرك! ومترعٍ بتكفير المسلمين ، ولاحول ولاقوة إلا بالله

رابعاً: فأما في المثال الرابع الذي فيه أن مزاعم الوهابيين أن المسلمين نشأوا هم وأسلافهم على الشرك والبدع!! وأن أعظم من عادى ونفّر الناس من دعوة ابن عبد الوهاب هم العلماء والرؤساء .. فإذا بالأخ صالح يقول: "فقد أصبح بناء الأضرحة وتقديسها وزيارتها والاستغاثة بالأموات من صميم عقائد هؤلاء المبتدعة حتى صارت دينا يوالون عليه ويعادون فيه" انتهى كلامه ، وتعليقي عليه: أن الدنيا قد تضاءلت إلى الحد الذي لم يعد الأخ صالح يرى معه في المسلمين سوى بناء الأضرحة وتقديسها وزيارتها! وهو ماقلته في مطلع بحثي حين ذكرت أن الطائفة الوهابية قد رتبت أولويات الإسلام على غير مراد الله ورسوله ، فجعلوا من الأضرحة والقبور قضيتهم الكبرى التي يوالون ويعادون عليها! وياليتهم وقفوا عند هذا الجهد المشكور (محاربة البدع) .. لكنّ الأمر قد امتدّ لحد تسمية تلك البدع بالشرك! وأنها نقيض التوحيد .. وانطلقوا يحملون السلاح لقتال المسلمين بعد أن كفروهم! أو لقتالهم بغير تكفير (لافرق كبير)!

خامساً: في الأمثلة الخامس والسادس والسابع والتاسع والعاشر يستدرك الأخ صالح إبراهيم عليّ بقوله: فأين ابن عبد الوهاب من هذا؟ رغم كون المثال الثالث فيه مايقدح زناد البصر من أنّ كل هذا كان يتم بتوجيه الشيخ وتنظيره وإشرافه بعد أن قعّد قواعده الباطلة في بيان الكفر في مقابل الإيمان!

سادساً: في المثال الثامن الخاص بقتل عثمان بن معمر غيلة وغدراً بعد فراغه من صلاة الجمعة في مسجده! يقول الأخ صالح إبراهيم موجهاً كلامه لي: "أنت زعمت –من كيسك– أن عثمان بن معمر قتل لأنه خالفهم في سفك الدماء ، ثم تتساءل كيف يكون مشركا عند الوهابية! وكأن ابن عبدالوهاب أفتى بقتله .. وكأن من قتلوه حسبوه مشركا! خلط عجيب!" انتهى كلامه ، وتعليقي عليه أنه –كعادته– لم يقرأ الأحداث فلم يعرف سر العداء بين عثمان بن معمر ومحمد بن عبد الوهاب بعد أن كانا حليفين!! فقال إنها من كيسي! وأنا أنصحه بأن يقرأ ويتعلّم قبل أن يأتي ليناقش ويحاور ، ثم هو يتعجب ويندهش من نسبتي رمي الرجل بالشرك للوهابيين وهي الحادثة التي يفتخر بها ابن بشر في عنوان مجده! وعلة كلّ هذا أنه لايقرأ شيئاً وإنما ينبري للدفاع عما لايعرف! ولو قرأ لعرف أن الوهابيين رموه بالشرك ثم قتلوه في مسجده لأنه عادى دين الله ورسوله! (دعوة محمد بن عبد الوهاب)

الخلاصة: لقد أقام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدنيا ولم يقعدها على مسائل غلط فيها نفرٌ من جهال المسلمين ، حين ابتدعوا في دين الله ماليس منه ، فأدخلوا البدع المنكرة إلى الدين ، وتمسكوا بالخرافات والأوهام بدلاً من الأقوال المحكمة في سيرة وسنة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أنّ ابن عبد الوهاب وأتباعه توقفوا عند النصح والإرشاد والتعليم والتوجيه ، ولم يستخدموا سلاح التكفير ، لكان الامر هيناً ، ولكنهم تخطوا ذلك إلى حد حمل السلاح

وقتال المسلمين ، بعد أن عقد الشيخ والأمير صفقتهم الفاسدة ، فاتفقوا على توريث الملك في سلال ابن سعود ، في مقابل توريث الإمامة في سلالة ابن عبد الوهاب ، ليقوم أسوأ أنواع التحالفات بين الاستبداد السياسي من جهة والاستبداد الديني من الجهة الأخرى ، وهو التحالف الذي لازال المسلمون يدفعون ثمنه حتى يومنا هذا .. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

تم بحمد الله وعونه ، والحمد لله رب العالمين

الخاتمة..

لماذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

لأني أراه المسئول الأول عن تيار عريض ضرب الأمة كلها بغلوائه فأصابها في مقتل!

فوقعت الفرقة .. وانتشرت الخلافات العصبية والتصنيفات المتشنجة والأحكام السلطوية .. وتعددت الفرق والأحزاب والجماعات .. تعدد افتراق لاتعدد تنوع

ووقع شباب الأمة ومشايخها في هوس التكفير والتصنيف .. وعلى الجانب الآخر .. وقع أمثالهم في براثن الإلحاد بعد أن عاشوا صراعاً مريراً بين فطرتهم السليمة وبين الأقوال الغالية المنسوبة لدينهم على أيدي أتباع ذلك التيار

لو كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رجلاً عادياً كآلاف المشايخ الذي يمتطون صهوات منابر بلادنا العربية والإسلامية .. فيشنفون الآذان بدعوات الأحادية وتكريس الكراهية!

لما أعرته شيئاً من اهتمامي..

فكيف به وهو رغم كل ما أحدثه .. وبعد أن وضع لبنة التصنيف وبذر بذرة التكفير المعاصر ، وأسس لواحدة من أخطر مدارس العنف والعصبية ولدد الخصومة .. ثم هو يوصف بالإمام!! وبالمجدد!! بل وبشيخ الإسلام!!

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا وفِي يَمَنِنَا . قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا وفِي يَمَنِنَا . قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ : هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) رواه البخاري (1037) ومسلم (2905) ، واللفظ للبخاري.

وتعليقي على الحديث الشريف: ليس بمستبعدٍ أن تكون الفتنة المشار إليها فيه والتي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تخرج من نجد .. هي الفتنة الوهابية ..!! وإن كان لأتباع الشيخ تأويلات تستبعد هذا الاحتمال تماماً .. لكني لا أستبعده! ففتنة التكفير والتصنيف من أكبر الفتن التي ضربت جسد الأمة المهزومة المأزومة.

فإن كنت –أخي القارئ– ممن يرون في تنقيصي من الشيخ .. هجوماً على الإسلام نفسه!

فأود أن أقول لك: إن الإسلام أكبر وأعظم بكثير من شخص الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن شخوص غيره .. بل ومن شخصي قبل شخصك

وأهل الإسلام بقضهم وقضيضهم .. وسلفهم وخلفهم .. وعلمائهم وأئمتهم .. ومحدثيهم وفقهائهم .. بخير من قبل حتى أن يولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب!

فليس عندنا في الإسلام كهنوت ، وإنما يعرَفُ الرجال بالحقّ .. ولايعرف الحق بالرجال.

وإمام أهل السنة مالك ابن أنس –رحمه الله– يقرر لنا قاعدته الذهبية التي طارت شهرتها حتى بلغت الآفاق: وكلُّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم

فإن كنت –أخي القارئ– تراني قد أسهمت بمقالاتي تلك في صد الناس عن التدين وعن اتباع سبيل المؤمنين! فقد أبعدت النجعة !..

فأنا أراني بهذه المقالات .. أحول بين الناس وبين الوقوع في براثن الغلو والاستبداد والعنف الذي اجتاح مجتمعاتنا الإسلامية .

وأرجو بها الأجر والمثوبة من الله تعالى ، وأن تكون من العلم الذي ينتفع به ، لتكون صدقة جارية تنفعني بعد موتي وقضاء نحبي ..

فذلك رأيي في مقابل رأيك .. ورأيي صواب يحتمل الخطأ .. ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب

((إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))

صدق الله العظيم

هذا وماكان من توفيق فمن الله تعالى ، وماكان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان

وأسأل الله أن يعلمنا ماينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يزيدنا علماً .. إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ملاحق البحث

الملحق الأول: في قول الدكتور أسامة مؤمن الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف: إن أحداً من تلامذة الشيخ الكبار لم يكفِّر المسلمين ، وأنه قضى بينهم أحد عشرة سنة فلم يرَ منهم تكفيراً ، فإلى فضيلته البيان التالي:

1. التصوير الفوتوغرافي من أعظم الوسائل التي تؤدي إلى الوثنية (الشيخ محمد جميل زينو في كتابه "دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين" صفحة 63)

2. الدعاء بصيغة "اللهم إني أسألك بجاه النبي محمد" .. شركٌ أصغر وهو من وسائل الشرك الأكبر (الشيخ عبد العزيز ابن باز من الموقع الرسمي لفضيلته)
https://binbaz.org.sa/noor/11863

3. فإذا زعم زاعمٌ أو صور مصورٌ أنها تسبح في الفضاء (يتحدث عن الأرض) لايمكن أن يكون صادقاً سواء كان شيوعياً أو نصرانياً أو يهودياً او مسلماً فكلام الله أصدق من الجميع (الشيخ عبد العزيز ابن باز في تسجيل له على يوتيوب)

4. من عمد على يديه وهو يقوم من مجلسه فقال يارضاء الوالدين أو ياجاه رسول الله ، فهذا النداء شركٌ أكبر والعياذ بالله (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء رقم (5156) برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز)

5. الشيخ أبو بكر الجزائري: الشمس هي التي تدور حول الأرض ، ومن يدرس هذه المادة يجب أن يخاف الله ، وأن هذا خطر على عقيدته (سمعها منه أحد تلامذته وذهب بسؤاله هذا إلى لجنة البحوث العلمية والإفتاء وهي منشورة على الإنترنت)

6. الغلو في التقليد شرك .. "إذا اختلف الأئمة في أمر ، فقال أحد العلماء إن الصواب في قول إمامه فهذا هو الذي ذمه الله وسماه شركاً" (الدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف في مقال له يتحدث فيه عن الوهابية في مواجهة الغلاة!!)

7. التبرك بالأولياء (وإن ثبتت ولايتهم بالكتاب والسنة) من وسائل الشرك! (الشيخ صالح الفوزان في كتابه "الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد")

8. الصحيح أن الشرك إنما وقع من حواء فقط دون آدم (الشيخ محمد صديق حسن القنوجي في كتابه "الدين الخالص" صفحة 160)

9. وفي هذه الرسالة أجاز ابن معمر النجدي قتال من ترك الصلاة كسلا ونقل الإجماع من الأئمة ما عدا الزهري وأبا حنيفة (من كتاب "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه")

10. أيها المسلمون لا ينفع إسلامكم إلا إذا أعلنتم الحرب الشعواء على هذه الطرق الصوفية فقضيتم عليها قاتلوهم قبل أن تقاتلوا اليهود والمجوس (عليّ بن محمد بن سنان في كتابه "المجموع المفيد من عقيدة التوحيد" صفحة 102 ، مكتب دار الفكر ، الرياض)

11. من استحل الاختلاط بين الجنسين في ميادين العمل والتعليم فهو مستحل للحرمات (النظرالحرام والتبرج الحرام والسفور الحرام والخلوة الحرام والكلام الحرام بين الرجال والنساء) ومن استحلها فهو كافر ومعنى ذلك أنه يصير مرتداً (الشيخ عبد الرحمن البراك في فتوى شهيرة له)

12. الإمامان النووي وابن حجر ليسا من أهل السنة والجماعة فيما يذهبان إليه في الأسماء والصفات لأنّ من خالف السلف في صفات الله لايعطى الاسم المطلق بأنه من أهل السنة

والجماعة (الشيخ محمد بن صالح العثيمين في إجابته على سؤال من كتاب "لقاء الباب المفتوح" مع فضيلته صفحة 42)

13. الأشاعرة والماتوريدية ينكرون صفات الله ، ثم يذكر بعدها أن أول من عرف عنه إنكار الأسماء والصفات هم بعض مشركي العرب!! (الشيخ صالح الفوزان في مقدمة كتاب "التوحيد" لابن حزيمة)

14. وهذه الطائفة: التي تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري ، وصفوا رب العالمين ، بصفات المعدوم والجماد ؛ فلقد أعظموا الفرية على الله (الدرر السنية من الأجوبة النجدية مجموعة رسائل علماء نجد الجزء 3 صفحة 210)

15. فجحدوا توحيد الله في الإلهية، وأجازوا الشرك الذي لا يغفره الله، فجوزوا أن يعبد غيره من دونه، وجحدوا توحيد صفاته بالتعطيل. (من نفس الصفحة) (الدرر السنية من الأجوبة النجدية مجموعة رسائل علماء نجد الجزء 3 صفحة 210)

16. فالأئمة من أهل السنة وأتباعهم لهم المصنفات المعروفة في الرد على هذه الطائفة الكافرة المعاندة (لازال يتحدث عن الأشاعرة) (الدرر السنية من الأجوبة النجدية مجموعة رسائل علماء نجد الجزء 3 صفحة 211)

17. وقد غلط من غلط في معنى أهل السنة والجماعة فأدخل فيهم بعض الفرق الضالة كالأشاعرة والماتريدية (الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ من كتابه "اللألئ البهية في شرح العقيدة الواسطية" الجزء الأول صفحة 87)

18. وحسبك شراً من مصرين (يتحدث عن مصر والعراق) هما كالبحر المحيط لأنواع الشرك بالله تعالى في ربوبيته وإلهيته (الشيخ حمود التويجري من كتابه "غربة الإسلام" صفحة 216)

19. فأما أهل الإسلام الحقيقي فيهم فإنهم نزر قليل مستضعفون في الأرض غرباء بين أهل الشر والفساد الذين أشرنا إليهم وحال أكثر الأقطار الإسلامية في طغيان الشرك وأنواع البدع (الشيخ حمود التويجري من كتابه "غربة الإسلام" نفس الصفحة)

20. لاشك في كفرهم وردتهم (جماعة فيصل الدويش) .... وإن أعظم الأدلة على ردتهم دعواهم أنهم لم يدخلوا تحت إمرة الملك عبد العزيز ابن سعود إلا مكرهين (المشايخ محمد بن عبد اللطيف ومحمد بن إبراهيم وسليمان بن سحمان وصالح بن عبد العزيز)

<u>الملحق الثاني</u>: في قول الدكتور أسامة مؤمن الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف: إن أحداً من جماعات العنف المسلح ، ودعاة العدوان على الناس ليس له علاقة من قريب أو بعيد بالشيخ محمد بن عبد الوهاب

فأقول وبكل ثقة: بل كل دعاة العنف في شبه الحزيرة العربية متأثرون غاية التأثر بكتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبأسلوبه في مخاطبة المخالفين ، فضلاً عن أفكاره في باب قتال المخالف بعد إقامة الحجة عليه!

فالشيخ ابن عبد الوهاب ورغم نشأته في أسرة علمية متدينة ، قد قال عن نفسه أنه هو نفسه لم يكن يعرف دين الإسلام!! ولا معنى لا إله إلا الله!! لا هو ولا أي من مشايخه!!

وذلك حتى لحظة معينة (اللحظة التي ضربه فيها زلزال التكفير) فأصبح يصف مخالفيه بالمشركين وبأعداء التوحيد! ويصف بلادهم ببلاد الشرك! ورفع السلاح لقتال المسلمين

هذا وقد بذر الشيخ بذرة الاستبداد الديني ، فأنتجت تلك الثمرة المعطوبة المتمثلة فيما يلي:

1. أبو محمد المقدسي (عصام برقاوي) .. المنظِّرُ الأول لتنظيم القاعدة في بلاد الحرمين ، وأهم منظري السلفية الجهادية في العالم كله

يصرّح بأن المجالس النيابية من صروح الشرك ومعاقل الوثنية وأنه يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

كما قال: حقيقة المترشح فيها أنه طاغوت يسعى إلى أن يشارك الله تعالى بالتشريع

وقال أيضاً: فهو مشرك كافر عندنا ، ولو لم يفز بالانتخابات ، ولو لم يباشر التشريع فعلاً ما دام قد ارتضى بهذه الوظيفة الكفرية

وقد استند في أكثر كتاباته للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ! (حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ويظهر تأثره الشديد بكتابات أئمة الدعوة النجدية وخصوصاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أول كتبه (ملة إبراهيم)

هذا وقد زكاه الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي والذي كانت بينه وبين المقدسي مراسلات وهاتفه بعد خروجه من السجن وحثه على الثبات قائلا: "لقد رفعت رأس السلفيين عاليا".

2. الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي:

وقد كان يعمل أستاذاً للشريعة بكلية أصول الدين – جامعة محمد بن سعود ، وله عشرات الكتب والرسائل المطبوعة والمنشورة على الانترنت

وقد اصطدم بهيئة كبار العلماء حينما أعلن تحريم الاستعانة بالمشركين بعد فتوى الشيخ بن باز التي أجاز فيها الاستعانة بالأمريكان بعد احتلال صدام حسين للكويت ، وانتهى الصدام بينه وبينهم بإقالته من الجامعة

له فتوى في غاية الخطورة يقرر فيها جواز الأحداث التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر (تفجير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك) ..

http://www.al-oglaa.com/?section=subject&SubjectID=176

فضلاً عن تكفير من أنكر صفة العلو وتحريم الصلاة خلفه! (ونسي أنه قد يكون متأولاً)

كما له فتوى متميزة جداً .. حيث أرسل له أحد السائلين يسأله عن الحكم الشرعي فيما يخص بطاقة هوية المرأة ..!

فأجاب قائلاً: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله. إن منح المرأة بطاقة تحمل صورتها منكر لا يجيزه الشرع يترتب على ذلك مفاسد عظيمة دينية وخلقية واجتماعية!)

ثم قال: (مما يلفت النظر ويقوي التخوفات أن المتحمسين لهذا الطلب والمتصدين للكتابة عنه في الصحف أكثرهم أناسٌ مشبوهون قد ارتبطت أسماؤهم بالمطالبة بأمور منكرة كالدعوة أن

يتولى النساء تدريس البنين وكالمطالبة بإنشاء نوادي رياضية للبنات والدعوى إلى مشاركة المرأة للرجل في عمله والدعوى إلى قيادة النساء للسيارات.)

انتهى كلامه

3. الشيخ علي بن خضير الخضير: (أحد أهم تلامذة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي) وله عشرات المقالات في منبر التوحيد والجهاد (أحد مواقع السلفية الجهادية)

فضلاً عن عشر كتب منشورة له على موقع صيد الفوائد ، وهو يستدل في مقالاته بنقولات وأقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفير المعيّن ، وعدم العذر بالجهل

بعد أن اعتقلته أجهزة الأمن السعودية .. خرج على التلفاز وأعلن ندمه وتراجعه عن فتاوى التكفير التي كان قد أصدرها ضد عدد من الكتاب والصحافيين السعوديين، ومن ضمنهم تركي الحمد ومنصور النقيدان وعبد الله بن أبي السمح

يقول في مقال له منشور على "منبر التوحيد والجهاد" (يتحدث فيه عن الشيخ حسن بن فرحان المالكي وكتابه "نقض كشف الشبهات" الذي ينتقد فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب) فيقول بالنص:

2) وفيه تسمية عباد القبور ومن يذبح لغير الله ومن يستغيث وينذر لغير الله بالمسلمين

3) التهجم ونبز وتخطئة من يكفر عباد القبور

انتهى كلامه

4. الشيخ أبو إسحق الحويني:

وله فتوى متميزة جداً في كيفية زيادة دخل خزينة الدول الإسلامية لحل أزماتها الاقتصادية! وذلك من خلال غزو المسلمين للبلاد المجاورة! وسبي جميع نسائها واسترقاق جميع رجالها وأطفالها وتقسيمهم على الجيش الإسلامي!!

كما طالب بعودة سوق النخاسة (وهو السوق الذي يباع فيه العبيد والجواري)! .. فهذا هو مفهوم الجهاد كما فهمه فضيلة محدث العصر!

https://www.youtube.com/watch?v=ZILKNZLpSyA

5. الشيخ ناصر بن حمد الفهد (أحد أهم منظري السلفية الجهادية) وهو مؤلف كتاب "مختصر أباطيل القرضاوي" ، وكان يعمل معيداً بكلية أصول الدين – جامعة محمد بن سعود ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة حتى تم اعتقاله من قبل السلطات السعودية

وله العديد من الكتب من بينها "تنبيهات على كتب تخريج كتاب التوحيد (للشيخ محمد بن عبد الوهاب)" وكذلك "سيرة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ." فضلاً عن كتابه الأشهر "التبيان في كفر من أعان الأمريكان" والكتاب من جزءين ، وقد قرظه الشيخ سليمان العلوان

وكان ناصر الفهد قد أكد في مقابلة أجراها معه الشيخ عائض القرني وبثها تليفزيون المملكة العربية السعودية الرسمي (منذ أكثر من عشر سنوات) تراجعه عن فتاوى التكفير بعدما أصابه تفجير حي المحيا بمدينة الرياض بصدمة شديدة جداً وفق قوله!

هذا ولايزال قيد الاعتقال حتى الآن

الملحق الثالث: في قول الدكتور أسامة مؤمن الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف: إنّ أحداً من العلماء الكبار والأئمة المعتبرين لم يقل بمثل قولي في الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أولاً: كنت قد أوردت كلام الإمام أبي زهرة بخصوص الوهابيين من كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية ، وقد قرر الإمام أنهم يفعلون أفعال الخوارج ويكفرون المسلمين بالمعصية ، فضلاً عن تقريره أنهم حملوا السلاح لقتال المخالفين (لم يقل المشركين)

فقال الأستاذ الدكتور أسامة مؤمن إن كلام الإمام أبي زهرة محمولٌ على عوام الوهابية وليس على الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه

فأقول لفضيلته متسائلاً: أوليس وصفُ الإمام محمد أبي زهرة للوهابيين بأنهم يشبهون الخوارجِ دليلٌ كافٍ على وقوعهم في التكفير؟ والخوارج كفروا الإمام عليّ رضي الله عنه .. وهو من هو!

ثانياً: هذه طائفة أخرى من العلماء المحققين المعتبرين ممن نسب التكفير للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، فأرجو أن يتسع صدر مولانا الدكتور أسامة للاطلاع على أقوالهم

1. الفقيه الحنفي ابن عابدين: يقول في كتاب حاشية رد المحتار ج13 ص135 ((مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا .. كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ) انتهى كلامه

2. ردّ علماء تونس على رسالة محمد بن عبد الوهاب ، وقد كتبها القاضي عمر المحجوب ابن مفتي تونس ، والفقيه قاضي الجماعة بتونس والإمام الثالث بجامع الزّيتونة (1724 . 1807 م) وقد قال في مقدمتها مخاطباً الشيخ محمد بن عبد الوهاب مانصه:

(وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الإسلام أمورًا، وأشركوا بالله من الأموات جمهورًا في توسلهم بمشاهد الأولياء عند الأزمات، وتشفعهم بهم في قضاء الحاجات، ونذر النذور إليهم والقربات، وغير ذلك من أنواع العبادات، وأن ذلك كله إشراك برب الأرضين والسموات، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات، ولعمر الله إنك قد ضللت وأضللت، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت، وشنّعت وهوّلت، وعلى تكفير السلف والخلف عوَّلت، وها نحن نحاكمك إلى كتاب الله المحكم، وإلى السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.)

والرسالة طويلة يضيق المقام ببيان مافيها هاهنا .. فأنصح القراء الكرام بمراجعتها

3. الشيخ أنور شاه كشميري، حيث قال إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتسارع إلى الحكم بالتكفير (وقد نقل رأيه مؤلف كتاب "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه")

4. الشيخ محمد لبيب البتنوني في كتابه الرحلة الحجازية حيث يقول: (في سنة 1142 ظهر رجل من عرب بادية نجد اسمه محمد بن عبد الوهاب ، تلقى العلم في مكة على بعض شيوخها وأخذ يذيع عقيدة جديدة في الدين الإسلامي ، تجاوز فيها الحد الذي ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل ، بل تغالى في بعض الأمور غلواً كبيراً) انتهى كلامه (الرحلة الحجازية ط3 ، مكتبة المعارف ، الطائف ، ص 87)

5. العلامة الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين ، حيث ذكر في المجلد الخامس ص 78 في تفسير قول الله تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ} (فاطر الآية 6). يقول [وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرّفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرِهم وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم الوهابية يحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم]. انتهى كلام الشيخ الصاوي المالكي.

6. الدكتور محمد البهي (حيث كتب فصلاً كاملاً عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه "الفكر الإسلامي في تطوره" ط 1 ، دار الفكر من صفحة 75 وحتى صفحة 90)

7. الشيخ محمد بن علي الشوكاني ، وقد كان في أول الأمر يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمّا سمع بجهده في محاربة البدع والخرافات ، ثم قال بعدها في أتباعه مانصه:

(ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد ، وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام)

http://islamport.com/w/trj/Web/3291/526.htm

الكتاب : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (499/1)

8. العلامة محمد بن إسماعيل بن صلاح المعروف بالأمير الصنعاني مؤلف (سبل السلام) المتوفى سنة 1182هـ

لما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتب الأمير الصنعاني إليه بالقصيدة الشهيرة المسجلة في ديوانه يمدحه بها سنة 1163هـ مطلعها :

سلام على نجد ومن حل في نجد *** وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وانتظر الجواب ، ولكن الجواب لم يصل ، ووصلت وفود نجد وبعض علمائها يخبرون بحقيقة مذهبه ، فتراجع الصنعاني عن مدحه، بعد أن طارت القصيدة في كل البلاد ، وكتب قصيدة أخرى تراجع فيها عن مدحه الأول يقول في مطلعها:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي *** فقد صح لي فيه خلاف الذي عندي

كما قال أيضاً (متحدثاً عن الشيخ مربد بن أحمد التميمي) مانصه:

(وكان من تلاميذ الشيخ: محمد بن عبد الوهاب الذي وجهنا إليه الأبيات فأخبرنا ببلوغها ولم يأت بجواب عنها وكان قد تقدمه في الوصول إلينا بعد بلوغها الشيخ الفاضل: عبد الرحمن النجدي ووصف لنا من حال ابن عبد الوهاب أشياء أنكرها عليه من: سفك الدماء ونهبه الأموال وتجاربه على قتل النفوس ولو بالاغتيال وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار فبقي معنا تردد فيما نقله الشيخ: عبد الرحمن حتى وصل الشيخ: مربد وله نباهة ووصل ببعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في: وجه تكفير أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم وحقق لنا أحواله وأفعاله وأقواله فرأينا أحواله أحوال رجل عرف من الشريعة شطرا ولم يمعن النظر ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه فيها بل طالع بعضا من مؤلفات الشيخ: أبي العباس ابن تيمية ومؤلفات تلميذه: ابن القيم الجوزية وقلدهما من غير إتقان مع أنهما يحرمان التقليد.)

انتهى كلامه ، المصدر أبجد العلوم لصديق حسن خان ، الجزء الأول صفحة **681**

والقائمة تطول بعد ذلك (أكثر من 100 كتاب كتبت في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، وهي لكبار علماء المسلمين وأئمتهم) ولكني أكتفي بهذا القدر نظراً لضيق المقام ها هنا

غـلاف الكتاب

هي دعوة للحوار! وليست مناظرة ..

حيثُ دعوتُ الدكتور "صالح إبراهيم" (أحد نشطاء "فيس بوك" ويعمل أستاذا بجامعة القاهرة) لمحاورتي في شأن الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" .. وذلك تحت عنوان "الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. إمام مجددٌ ؟ أم تكفيريٌ مبددٌ ؟!"

ولا أسميها مناظرة ، لأنَّ أجواءَ المناظراتِ لاتُنَاسِبُني .. ولأنّني لستُ من هواةِ جعل ما أراهُ من الحقِّ في معرِضِ التَّحدِي والإدلَاء ، والنَّظرَ للخصومِ بعينِ التحقيرِ والازدراء! ولعلّ أحدَنا يكونُ ألحنَ في حجَّتِه من صاحِبِه .. فيصيرُ ذلكَ مانعاً لقَبُولِ الحقِّ من معارِضِه ، والحقُّ أحقّ أن يُتَّبَع.

وقدْ دعوتُهُ قبلَ الشُّرُوعِ في حوارِنا إلى لُزُومِ أدبِ الحِوَارِ ، والجِدَالِ بالتي هِيَ أحسن ، وهوَ ماحاولتُ أنْ أُلزِمَ بهِ نفسِي ، وأرجو أنْ أكون!

حيثُ كتبتُ مقدمةً وتركتُ له كتابةَ مقدمةٍ مماثلة ، ثمّ كتبتُ بعدَهَا جملةَ مآخذاتي على الشيخ ، وطالبته بكتابةِ أسبابِ توقيرِهِ لَه ، ولكنَّهُ اكتفَى بكتَابَة تعليقاته على بَحثِي ، والذي قررتُ أن أضَعَهُ في هذا الكتاب ، عَسَى أن ينتفعَ به المسلمُونَ في كلِّ مَكَان.

المؤلف